16 em Année No. 797

Lundi — 11 — 10 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد «٧٩٧» القاهرة في يوم الاثنين ٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

حكم من أحكام الله !

قضى القضاء العراقي العسكري العادل بالقتل شنقاً وبغرامة مقدارها خمسة ملايين دينار ، على فقيد الربا ، وشهيد الخيانة ، وعميد الصهيونية ، وعهيد الشيوعية ، وسليل شيلوك ، وصهر شرتوك ، ومالك القناطير المقنطرة من العروض والذهب في البصرة ، وصاحب الملايين المصدرة من النار والحديد إلى تل أبيب ، المأسوف على حياته ، الخواجه شفيق عدس ؛ لأنه كفر بالعراق الذي نشَّأه ورباه ، ثم أمّنه ورعاه ، ثم رفهه وأغناه فاشترى بما نال من كرمه وادخر من نعمه ألوف الأطنان من مختلف السلاح والعتاد وأرسلها خفية إلى أوغاد اليهود في فلسطين ليقتلوا بها إخوانه في الوطن وأعوانه على الثراء ؛ فكان هذا القضاء وحياً من قضاء الله ، وكان هذا الحكم هدياً من ضياء العدل ، صفقت له الوطنية ، واغتبطت به العروبة ، وتمنى كل قطر من الأقطار التي مُنيت باليهودية الماكرة والصهيونية الغادرة أن يحكم كل قاض بمثله على كل يهودي يقف بين يديه وقفة المجرم . واليهودية هي الصهيونية محتجبة أو سافرة ، والصهيونية هي الفوضوية محتشمة أو داعرة . إذا عنيتَ باليهودية أقبح ما تعلم من مساوئ الدناءة والنذالة والإباحية والعصبية ، فإنك تعني بالصهيونية أسوأ ما تفهم من معاني الشيوعية والرأسمالية والنازية والفاشية .

أقسم بالله جهد اليمين ما شفى صدري وأرضى وجداني كهذا الحكم الحازم الحاسم . فلعله يوقظ في قضائنا الرءوف الرحيم شعور القسوة العادلة على مجرمي هذا الجنس العجيب الذي تحدى كرامة الإنسانية منذ تحملت أوزاره هذه الدار ، واعتقد أنه هو وحده شعب الله المختار .

لم يبق في مصر ضمير يهودي لم يخن مصر ؛ ولم يبق في مصر قلب يهودي لم يهو إلى إسرائيل ؛ ولم يبق في مصر مال « يهودي » لم يحارب في فلسطين ؛ وتقبض حكومتنا القادرة اليقظى على الكفار الفجار من سلالة يهوذا الذي باع المسيح بدوانق معدودة ، وفي نفوسهم نية الخيانة ، وفي أيديهم أداة الجناية ، وفي بيوتهم مادة العدوان ، فتنزلهم المعتقل على الرحب والسعة ، وتكفل لأموالهم وأهليهم الأمان والدعة . فإذا عجبت أن ترى اللئيم الممعن في لؤمه يكرم ، والظلوم المفحش في ظلمه يرحم ، حاولوا أن يخففوا من عجبك بدعواهم أن لليهودي المصري رعاية المواطن ، ولليهودي الأجنبي حق الإنسان ؛ كأنهم يريدون أن يقولوا إن اليهودي يشارك المصري في وطن ، أو يشارك الآدمي في جنس !!

لا ، يا سادة ! إن اليهودي لا يعرف وطناً غير صهيون ، ولا يألف جنساً غير يهوذا ، فمن يزعم غير ذلك فليسأل كل أمة في الأرض وكل عصر في التاريخ ، ماذا جنت اليهودية على الإنسانية . ألم يكن لها في كل ثورة وقود من الدسائس والأضاليل ؟ ألم يكن لها في كل عقيدة مفسدة من البدع

إميل لودفيج

للأستاذ عمر حليق



مات إميل لودفيج فى ١٨ سبتمبر من هذا العام بعد أن ترك ثروة أدبية فى نوع فريد . ولودفيج من الكتاب الألمان القلائل الذين احتفظوا بسمعة عالية بالرغم من الويلات والمصائب التى ألمت بالحياة الأدبية فى نصف القرن الحالى فى تلك البلاد التعسة .

وثروة لودفيج خليط من المقالات السياسية فى قالب التراجم وفى المسرحيات السياسية والتاريخية والاجتماعية ، وله كتاب من نوع فريد أرخ فيه تاريخ ثقافة فى حياة نهر ، فكتابه « النيل » يجمع بين الطرافة الأدبية والدقة التاريخية ولمحات من التحليل العميق للحضارات العتيقة والحديثة التى أوحى بها هذا النهر الأزلى . وقد اختار لودفيج تراجمه من الشخصيات المعقدة التى تحتاج إلى تعمق فى الدراسة ، لا بسبب ما بها من عقد نفسية فحسب ، بل للظروف والملابسات التى أحاطت بها ، وبالأدوار التى لعبتها فى تاريخ الحضارة والإنسانية . فكتبه عن السيد المسيح ، وعن جوته وبيتهوفن وبسمارك أثارت مناقشات فى الأوساط السياسية والأدبية والدينية معاً ، وهذه من مزايا الأعمال الخالدة التى لا تنفرد بطابع التفكير الذى لا يتقيد بالمألوف ولا يجارى الاتجاهات التقليدية . وليست هذه الكلمة تحليلا لأعمال لودفيج ولا هى تعريفاً بإنتاجه الأدبى ، وإنما هى عرض لحياة رجل من المثقفين الذين تركوا لمكتبة الأدب والتاريخ ثروة حافلة بالإبداع الفنى والتعمق الفلسفى ولمحات صادقة من تطور السلوك الفردى وتباينه فى مراحل نمو العظماء والبارزين الذين جعلهم لودفيج مواضيع لآثاره الفنية .

ولد إميل لودفيج فى برسلو بألمانيا عام ١٨٨١ ثم رحل إلى سويسرا وأصبح فى سن الثانية والثلاثين مواطناً سويسريا وأعلن أنه اختار سويسرا منفى له طواعية بعد أن أثار بعض الجدل فى المحافل الأدبية والسياسية بسبب كتاباته عن بسمارك والعقلية الألمانية .

وكان والد لودفيج أستاذاً فى جامعة برسلو ، وهو يهودى اسمه هرمان كوهين إختار لابنه إميل كنية غير يهودية ليدفع عنه أذى المعادين لليهود فى ألمانيا .

والواقع أن يهودية لودفيج التى كان يفخر بها قد أفادته فى حياته الأدبية إلى أبعد حد ؛ فإن سيطرة اليهود فى كل دولة أوربية وفى أمريكا الشمالية على ألسنة الرأى العام ودور النشر وتجارة الكتب كانت سبباً هاماً فى توفير الإمكانيات للودفيج ولعشرات الكتاب اليهود فى ألمانيا وغير ألمانيا وتقديمهم إلى الأسواق العالمية ورعاية نموهم الأدبى كأحسن ما تكون الرعاية .

وندر أن تجد فى الأوساط الأدبية العالمية من يتعرف أو يعترف بالأدباء والمثقفين الألمان من غير اليهود وندر أن تجد فى مكاتب أوربا الغربية وأمريكا من المنتجات الألمانية إلا إذا كانت صادرة عن أدباء يهود أو يمتون إلى اليهود بصلة — كما هى حال الكاتب الألمانى الشهير توماس مان الذى ساعد زواجه من امرأة يهودية على كسب رعاية اليهودية العالمية التى تعمل فى الحقل الأدبى والأوساط الثقافية الدولية . ومن الجدير ذكره بهذه المناسبة أن الأوساط الأدبية والفنية فى أمريكا تشمر بهذا التكتل اليهودى وتنفر منه ؛ فإن سيطرة اليهود فى أمريكا على الحياة الأدبية فى مصادر الإنتاج جعلت حظ الأمريكان من النجاح مقيداً بالنعرة اليهودية الضيقة التى تسهل الرقى والنجاح للادباء والفنانين من اليهود الأوربيين الذين يستوطنون الولايات المتحدة على حساب الناشئة من الكتاب والشعراء والفنانين الأمريكان . إنفرد لودفيج من بين الكتاب المعاصرين بمعالجة أدب

والأباطيل ؟ ألم يكن لها فى كل دولة جاسوسية تورث العداء والحرب ؟ ألم يكن لها فى كل أمة أسواق تنشر الغلاء والكرب ؟ ألم يكن لها فى كل مدينة (حارة) تشيع الفحش والفُجر ؟ ألم يكن لها فى كل صحافة لسان يذيع البذاء والهُجر ؟

قولوا بلى ، كان لهم كل أولئك ؛ ولكن الله أوعدهم ووعدنا أن يحبط أعمالهم ، ويطيش آمالهم ، ويديم إذلالهم ، فحققوا وعيد الله ووعده بمثل هذا الحكم ، واتقوا يوماً يجوز أن يتولى الشيطان فيه أمر الأرض ، فيجعل لهم القضاء عليكم ، فيقيموا لكم محاكم كمحاكم التفتيش ، ويومئذ لا يجدر بالعربى الأبى أن يعيش !

أحمد حسن الزيات

انحراف المـــــواهب

للأستاذ أنور المعداوى

قلت فى عدد مضى وأنا فى معرض الحديث عن الشخصية الأدبية إن من عناصر هذه الشخصية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه، فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذى لا ينتج ولا يثمر؛ عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت، ويغنى الجهد الذى يبذل فى مكانه عن الجهد الذى يبذل فى غير مكانه.. هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق، وهذا القاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الأدبى فلا يخرج بشىء.. كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر من عناصر الشخصية الأدبية، عنصر الدراسة الخاصة لقيـــم المواهب والملكات!.

كلمات قلتها بالأمس وما أحوجها اليوم إلى شىء من الإفاضة والتطبيق، والخروج بها من دائرة انحراف المواهب فى ميدان خاص إلى انحرافها فى ميدان آخر يتسع فيه المدى، ويرحب الأفق، ويمتد مجال البحث والدراسة، وترد فيه الظواهر الموسة إلى ما خفى من الدوافع والأسباب...

جورج دیهامل الكاتب الفرنسى الكبير وعضو الأكاديمى فرانسيز، كان يعمل فى الحرب العالمية الأولى كطبيب فى المستشفيات الحربية، وهو من الذين درسوا الطب فى بدء حياتهم واشتغلوا بهذه المهنة جرياً وراء الكسب المادى كما يفعل الكثيرون، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها هجر دیهامل الطب إلى الأدب فنبغ فيه نبوغاً أهله لأن يكون عميداً من عمداء الأدب الفرنسى المعاصر... ظاهرة تستوقف النظر، وتغرى بالبحث، وتدعو إلى التأمل والمراجعة، وأعنى بها ظاهرة انحراف المواهب!.

ولقد كنت أبحث هذه الظاهرة عند عباقرة ثلاثة غير دیهامل يمثلون ثلاثة ألوان من الأدب العالمى الرفيع؛ جمع بينهم فى مستهل حياتهم ميل إلى العلم وانصراف إليه، ثم تحولوا عنه إلى الأدب فتهيأ لهم من النبوغ فى ميدانه مالم يتهيأ لهم فى ميدان العلم... أول هؤلاء الثلاثة وهو الشاعر الألمانى جيته، كان عالماً يبحث فى الألوان، ويضع الأصول للرسم والنحت، ويعالج التأليف فى الأزهار وفلاحة البساتين. وثانيهم وهو الكاتب النرويجى إبسن، كان فى شبابه عالماً فى الكيمياء. وثالثهم وهو الكاتب الإنجليزى ويلز درس الكيمياء أيضاً فى شبابه، ثم

التراجم فكتب دراسات عميقة عن نابوليون، وهند نبرغ رجل ألمانيا العسكرى، وعن ما زاريك السياسى التشيكوسلوفاكى، وعن كليوباترا، وعن فرانكلين روزفلت، والرئيس بوليفار أحد كبار الشخصيات السياسية فى أمريكا اللاتينية، وله مؤلفات عن ستالين وسيجموند فرويد — صاحب نظرية التحليل النفسانى المعروف. ولم يقتصر لودفيج على التراجم فعالج القصة والرواية والموضوعات الأدبية البحت فى النقد الأدبى ومشكلات السلوك الفردى، فن قصصه «الفن والقدر» و «هبات الحياة» و«ديانا» و«عطيل». وله أيضاً دراسة فى «العبقرية والخلق».

ودون تاريخ حياته فى كتاب دعاه «نظرة إلى الوراء».

ومن بحوثه السياسية كتاب «أحاديث مع موسوليني» «والغزو الأخلاقى لألمانيا» «وكيف تعامل الألمان».

ومن مؤلفاته الأخيرة كتاب عن «البحر الأبيض المتوسط» ودراسته لنهر «النيل».

وكان لودفيج يشتغل فى وضع كتاب عن الملك داود عند ما وافته المنية. ولم يترجم إلى الإنجليزية إلا القليل من أشعار لودفيج ومسرحياته التى استهل بها مطلع حياته الأدبية حتى سن الثلاثين.

وكان لودفيج من مناصرى الحركة الصهيونية فى سويسرا. وقد استعمل نفوذه الأدبى فى سويسرا وإيطاليا لتسهيل النشاط الصهيونى عبر القارة الأوربية فى تجنيد الرجال والعتاد للغزوة الفلسطينية. وكان بيته فى إسكونا Ascona على الحدود الإيطالية السويسرية ملتقى رؤساء حركة التهريب الصهيونية كما ذكرت بعض الصحف الإيطالية منذ بضعة أشهر.

(نيويورك) عمر حليق

التحق بجامعة لندن ونال منها درجة فى العلوم ثم عين بها أستاذاً للباتولوجيا !.

ليس عجيباً أن يكون الرجل منوع المواهب فيكون عالماً وأديباً وفيلسوفاً فى وقت واحد، ذلك لأن بعض المفكرين يمتازون بالجمع بين ألوان من العلم متعددة، وضروب من الفن مختلفة، لأنهم وهبوا من سعة الأفق وخصوبة الذهن وصدق الإحساس ووفرة التجارب مايؤهلهم لأن يشقوا طريقهم فى هذه الميادين جميعاً، ولكن الشىء الذى لا شك فيه أن الموهبة الأصيلة تطبع ناحية من نواحى التفكير بطابعها القوى المتميز فتطغى على كل ما عداها من مواهب، ويتجلى فيها الإعجاز فى أروع مظاهره وأخص مزاياه ... والدليل على ذلك أن يتحول رجل مثل جينه من العلم إلى الأدب، فيصل بنبوغه فيه إلى الحد الذى دفع كارلايل إلى وصفه بأنه أعظم أدباء العالم بلا استثناء، وأن يهجر رجل مثل إبسن العلم إلى الأدب ويعالج كتابة الدرامة فيعده النقاد واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث، وأن يشغف رجل كويلز بالدراسات الأدبية، فتكون مؤلفاته فى ميدان هذه الدراسات سلمه الوحيد إلى معارج الشهرة والنبوغ!

إن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا: لماذا تهيأ لهؤلاء الأدباء من النبوغ وذيوع الاسم فى رحاب الأدب ما لم يتهيأ لهم فى رحاب العلم؟.. ليس هناك غير جواب واحد هو أن مواهبهم الأصيلة كانت أدبية لا علمية، والدليل على ذلك أنهم انحرفوا بها فى بادىء الأمر عن طريقها الطبيعى فلم تنتج الإنتاج المرتقب الذى يناسب ذكاءهم، وذلك فى ميدان العلم... فلما عادوا بها إلى ميدانها الأصيل وهو ميدان الأدب، استطاعوا أن يشقوا طريقهم فى قوة حتى وصلوا إلى مرتبة الخلق والإبداع! ومثلهم فى رأيى كمثل البذور التى يلقى بها فى تربة لا تلائم طبيعة نموها، فهى قد تنبت وتنمو ولكنها فى الغالب لا تثمر.. فإذا ما ألقى بها فى التربة الصالحة نمت واشتدت أعوادها وأثمرت الثمر الشهى المرتقب فى مثل حالتها هذه الجديدة، ومن الممكن أن نصف هؤلاء العباقرة الذين تمثلت فيهم ظاهرة انحراف المواهب فى شبابهم، بأنهم كانوا بذوراً أدبية ألقى بها فى تربة العلم فلم تكتب لها الحياة

وسؤال آخر يتبادر إلى الذهن فى انتظار الجواب.. لماذا ينحرف بعض أصحاب المواهب من الأدباء والفنانين عن طريقهم الطبيعى ليسلكوا طرقاً أخرى لا يجنون من ورائها إلا بعد الشقة بين ميدان لم يخلقوا له وميدان ما كان أحوجهم إليه؟!

إن الجواب الذى يقبله العقل على هذا السؤال هو أن المواهب تستغل فى غير ميادينها جرياً وراء المادة.. وهذه الحضارة التى نعيش فيها حضارة قوامها المادة تبدأ منها وتنتهى إليها، وتدفع الناس إلى أن يتلمسوا الوسائل لكسب العيش عن طريق غير طريق الأدب والفن فى كثير من الأحيان، لأنه طريق غير مرجو الفائدة ولا مأمول العواقب فى ميدان النضال مع الحياة. ومن هنا يتجهون باستعدادهم وملكاتهم اتجاهاً يبغون من ورائه الكسب المادى والمكان المرموق، والفن فى رأى الماديين لا يحقق لهم شيئاً من هذا؛ وماذا تجدى الشهرة فى رأيهم مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان؟!

إن صوت هربرت ريد فى كتابه «الفن والمجتمع» ليضيع وسط ضجيج المادية الأهوج حين يقول: «يجب أن ننظر إلى الفن نظرتنا إلى كل شىء لا يستغنى عنه، مثله كمثل الخبز والماء، وعلى أنه جزء من حياتنا اليومية لا يتجزأ... وينبغى ألا يعامل الفن كضيف عابر، ضيف يدفع أجر ضيافته، ولكن كواحد من أفراد الأسرة سواء بسواء!

إن الحضارة الحديثة وتعقد مشكلاتها قد استبدت بالمواهب والعقول فوجهتها تبعاً لهذه المشكلات، وما فيها من تعقد لم يدع لها من لحظات الفراغ ما يمكنها من استلهام الوحى فى الفنون الرفيعة.. وما أبعد الفرق بين الفنون فى ماضيها الغابر وحاضرها المشهود! لقد كان الناس فى الماضى يعيشون للفن ويطربون له، ويشجعون المواهب على أن تمضى فى طريقها فلا انحراف ولا اعوجاج، وإنما اتصال مطلق بالطبيعة واستلهام لمظاهرها وروائعها، فلما تعقدت الحياة وطغت المادية على كل شىء طغيانها القوى الجارف انحرفت المواهب عن ميادينها الأصيلة وانحرفت معها الأذواق جرياً وراء المادة.. وماذا تجدى الشهرة كما قلت فى رأى الماديين مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان؟!.

أنور المعداوى

صلاة عصر في مسجد قرطبة
عام ١٣٦٨ هـ

للدكتور محمد موسى

منذ فرغت من عملي في « السوربون » وأنا أحلم بزيارة للأندلس أرضي بها العقل بالتنقيب في مكتبة « الأسكوريال » والروح بالعيش فترة من الزمن في الأرض التي ذللها أجدادنا وقامت فيها عواصم للعلم والسياسة في الإسلام . وكان كل ما شاهدت من مدريد إلى اشبيلية حيث أنا الآن يؤكد لي أن أسبانيا بلد ليس بالغربي ولا بالشرقي ، بل هو بين بين . هو حقاً بين الشرق والغرب بما احتفظ من تقاليد الأول وعاداته ، وبما تمكن فيها عن الآخر من المسيحية التي تتعصب لها تعصباً شديداً ؛ والأرض نفسها تمثل هذا أيضاً بما تنبت من الزيتون والنخيل وقصب السكر والموز ، إلى جانب مزروعات الغرب التقليدية .

لكن قرطبة عاصمة الأمراء والخلفاء شيء غير هذا كله . لقد كان القطار يسير بي من مدريد وأنا في شغل عما حولي ! كنت أعيش بخيالي وعاطفتي في قرطبة الإسلام ، في قرطبة التي صارت مقبرة لعصر من أكبر العصور الإسلامية ازدهاراً ، في قرطبة عبد الرحمن الداخل وأعقابه الأماجد ، في قرطبة ابن رشد وكبار العلماء الإسلاميين . لقد استبدّ بي الخيال ، وأسرتني العاطفة حتى خلتني مقدماً على بلد إسلامي يموج بعلماء الإسلام موجاً ؛ ولكني وصلت إليها ، فإذا الأهل غير الأهل ، والوجوه غير الوجوه ، وإذا العجمة والمسيحية هي الحاكمة المستبدة في كل شيء !

وأخيراً ، ها أنذا في المسجد الذي يمثل الشيء الوحيد الحري بالزيارة في المدينة : هذا هو «صحن البرتقال» مجمع حلقات العلماء ؛ وهذا هو « الديوان » أو الدهليز اليميني حيث مجلس ابن رشد يشرح أرسطو ويقربه للناس ؛ وهذا هو الدهليز الشمالي حيث كانت تقام العدالة وتفصل الخصومات ؛ وبعد هذا ها هو ذا المسجد نفسه الذي يحس المرء فيه بقبس من الخلود ، حيث كان العلماء من المسلمين واليهود والنصارى يتدارسون لغة واحدة هي العربية ، ويتعلمون ويعلمون علماً واحداً هو العلم الإسلامي كما ينقل « ريتان » ! كل ذلك ذهب وصار تاريخاً بعد أن كان حقيقة تملأ الأذن والبصر !

وفي وسط المسجد أقيمت الكاتدرائية ! إلا أنها على ضخامتها لم تنل من الأثر الإسلامي الخالد حتى كأنه لا يحس بها ! ومنارة المسجد التي تذهب إلى السماء ناحية الأزلية والخلود ، نحواً من خمسة وستين متراً جعلها التعصب برجاً للكنيسة بما أقيم في جنباتها من نواقيس وما علاها من الصليب . إلا أن كل هذه المظاهر لم تنزعني من الجو الذي أعيش فيه ، حتى لقد صعدت المنارة وأذنت فيها بصوت سمعه من كان مني للعصر ، ثم أديت الصلاة في داخل المحراب بعد أن فتح لي خاصة ! وأظن أن رفيقي ، وهو أستاذ فاضل مستعرب قرطبي ، ظن بي الظنون ! وعلى كل فقد احترم عاطفتي ووقف هو وآخرون من المتفرجين على مبعدة !

وبجوار المسجد مقر الخلافة والخلائف الذي صار الآن مقر كبير رجال الدين . وقد نفّس عني قليلاً ما تذكرته من قول شارلكان وقد زار المسجد سنة ١٥٢٦ حين رأى الكنيسة وسطه : لقد « بنيتم هنا أثراً كان يمكن أن يبنى في أي مكان ، وأفسدتم أثراً وحيداً في العالم ! »

والمسجد ومقر الخلائف يطل كلاهما على « الوادي الكبير » التي لا تزال مياهه تجري في استحياء ! وقد عبرت القنطرة على هذا النهر إلى الجهة المقابلة التي كان العرب يسمونها La Campgne أو الريف في الجهة المقابلة . وبهذا النهر تنتهي المدينة القديمة .

بعد هذا خرجت من المسجد وزرت محلة اليهود على مقربة جداً منه ؛ وبها منزل صغير يحمل الآن رقم ١٨ رأى ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الأشهر فيه النور ؛ وبها معبد من معابدهم بني بعد ابن ميمون ، وإن كانت الحكومة أقامت في مدخله لوحة تذكارية لمرور ٨٠٠ عام على ولادته (١١٣٥ — ١٩٣٥م) لماذا لا تقام لوحة أخرى تذكارية لابن رشد معلم وشيخ ابن ميمون!

حسبي من زيارة قرطبة هذا المسجد ، وحسبي أني عشت فيها فترة لذيذة ومؤلمة في جو إسلامي خالص حتى كنت أؤدي فيها الصلاة في وقتها في أغلب الأحوال في الفندق الذي نزلت فيه .

أنتهي الآن وأنا على سفر إلى الجزيرة ، جزيرة طريف ، لعلي أستطيع منها العبور إلى طنجة ومراكش ، ثم أعود إلى الأندلس لرؤية غرناطة والله المستعان .

محمد موسى

أعلام الفكر في عصر الحروب الصليبية :

عز الدين بن عبد السلام

٥٧٧ — ٦٦٠ ﻫ

للأســتاذ أحمد أحمد بدوي

نشـأ فى شظف من العيش ، ورفعته ثقافته إلى أن أصبح ينادى الملوك بأسمائهم ، ولم يُعْـمِه المجد عن الحقّ ، فنادى على رءوس الأشهاد بخطئه يوم بان خطؤه ، ولم يدعه حب السيطرة والسلطان إلى النزول عن كرامته أو الرجوع عن معتقده ؛ ولم تهيأ له وسائل الثقافة صغيراً ، ولـكنه جد حتى صار أستاذ عصره وأعلم أهل زمانه .

ولد بدمشق حيث تفقه على فخر الدين بن عساكر ، وجمال الدين بن الحرستانى ، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدى ، وأخذ الحديث عن القاسم بن عساكر ، ودرس النحو ، ورحل إلى بغداد ، فأقام بها أشهراً . ونبغ العز فى أصول الفقه ، وأصول الدين ، والتفسـير ؛ وبرع في الفقه حتى صار أعلم أهل عصره فيه ، قالوا : وانتهى به الأمر إلى مرتبة الاجتهاد فصار يفتى بما يؤدى إليه اجتهاده ؛ وكان موفقاً سديداً فى فتاويه .

ولى فى دمشق خطابة الجامع الأموى والإمامة فيـه ؛ قال أبو شامة أحد تلامذته : « وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة » ؛ فأبطل صلاتى الرغائب ونصف شعبان ، وفى طبقات الشـافعية للسبكى (جـ ٥ ص ١٠٥) نص فتواه فى تلك الصلاة ، وبيان الأسباب التى حملته على القول بإبطالها . وما كان عز الدين يسجع فى خطابته ، بل يقولها مترسلا ، واجتنب فيها الثناء على الملوك ، واستعاض عن ذلك بالدعاء لهم .

ودرّس عز الدين بالزاوية الغزاليـة بجامع دمشق ، حيث قصده الطلبة من الآفاق ، يقتبسون منه ويأخذون عنه ، وارتفعت مكانته حتى راسله بعض ملوك عصره وأحبوا لقاءه ؛ فهذا الناصر داود بن المعظم عيسى يرسل إليه قصيدة يحزن فيها على ما أصاب الإسلام عندما أغارت الفرنج على نابلس ويقول له فيها :

أيا ليت أمى أيم طول عمرهـا ... فلم يقضهـا ربى لمولى ولا بعل
ويا ليتها لـما قضاها لسـيد ... لبيب أديب طيب الفرع والأصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا ... فما بشرت يوماً بأنثى ولا فحل
ويا ليتهـا لما غدت بى حاملا ... أصيبت بما ضمت عليه من الحمل
ويا ليتنى لما ولدت وأصبحت ... تشـد إلىّ الشدقميات بالرحل
لحقت بأسلافى فكنت ضجيعهم ... ولم أر فى الإسلام ما فيه من خل

وكان الأشرف موسى يلهج بذكره ، ويؤثر الاجتماع به ، وقد دار بينهما نقاش انتهى باقتناع الأشرف برأى عز الدين وعقيدته ، وغرامه بكتبه وتآليفه ، ودعوة الناس إلى قراءتها والعمل بفتاويه . فلما مرض الأشرف مرض الموت أرسل إلى العز يستزيره فجاء إليه ، فلما استنصحه الأشرف نصحه العز بأن يولى وجهه إلى حرب التتار ، لا إلى حرب أخيـه الـكامل ، وكانت جفوة قد حدثت بينهما ، فقبل الأشرف نصيحته واستزاده ، فطلب منه العز أن يرسـل إلى نوابه يحرم عليهم شرب الخمر والفسق وفرض ضرائب على المسلمين ، فأطاع أمره . ثم أمر له الأشرف بألف دينـار ، فردها قائلا : « هـذه اجتماعة لله لا أكدرها بشىء من أمور الدنيـا » ؛ وعندما ملك الـكامل دمشق ، وكانت الصلة بينهما وثق ، وثقة الـكامل فيه عظيمة ، ولاه قضاء دمشق بعد ما اشترط عليه عز الدين شروطاً كثيرة قبلها الـكامل . فلما ملك الصالح اسماعيل دمشق ، وصعد نجم الدين أيوب إلى عرش مصر خاف الصالح اسماعيل خوفاً منعـه المنام والطعام والشراب ، وصالح الفرنج على أن ينجدوه على الصالح أيوب ، ويسـلم إليهم صيدا والشقيف وغير ذلك من حصون المسلمين . ودخل الفرنج دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا به عباد الله المؤمنين ، فشقّ ذلك على الشيخ مشقة عظيمة ، وعلى المتدينين من بائعى السلاح ، واستفتوا الشيخ فى بيع الفرنج السلاح ؛ فقال : « يحرم عليكم البيع لهم ؛ لأنكم متحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين » ؛ ويظهر أن عز الدين قد أثاره هذا الأمر ، فنال من الصالح اسماعيل على المنبر ولم يدع له ، وجدد دعاءه على المنبر ، وكان يدعو إذا فرغ من الخطبتين قبل نزوله من المنبر بقوله : « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تعز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن

معصيتك » ؛ والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين ، والنصر على أعداء الله الملحدين ، فعلم السلطان بذلك ، فأصدر أمره بعزل الشيخ واعتقاله ، فبقى مدة معتقلا ، ثم أطلقه على أن يغادر بلاده ، فخرج عبد العزيز من دمشق ؛ ثم بدا للصالح اسماعيل أن يعيده ، فأرسل خلفه رسولا أخذ يسوسه ، ويلين له القول ، وقال له : « بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير » ؛ فقال : والله يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدى فضلا عن أن أقبل يده . ياقوم، أنتم فى واد وأنا فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به » .

وبينا هو فى طريقه إلى مصر مر بالكرك ؛ فسأله صاحبها الإقامة عنده ، فرأى العز أن الانتفاع به سيكون محدوداً فى مثل هذه المدينة ، فقال له : بلدك صغير على علمى ، ومضى إلى مصر فقدمها سنة ٦٣٩ ، واستقبله علماؤها بالإجلال والإكبار ، وبالغ عبد العظيم المنذرى حافظ مصر فى الأدب معه ، وامتنع من الفتيا لأجله ، وقال : كنا نفتى قبل حضوره ، أما بعد مجيئه فمنصب الفتيا متعين فيه . وتلقاه الصالح أيوب عدو الصالح اسماعيل خير لقاء وأكرمه ؛ وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلى ، وفوض إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة ، فقام بالمنصب أتم قيام ، وتمكن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم . وكان يسلك فى الإرشاد طريقاً عنيفاً . قال تلميذه الباجى : « طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه فى زينته ، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض بين يدى السلطان ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : « يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟! فقال : « هل جرى هذا ؟ » فقال : « نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ؟ ! يناديه كذلك بأعلى صوته ، والجند واقفون ، فقال : يا سيدى ، هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى » ، فقال : أنت من الذين يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة . فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة . قال الباجى : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر : يا سيدى كيف الحال ؟ فقال : يا بنى ، رأيته فى تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ؛ فقلت : يا سيدى ، كيف الحال ؟ فقال : « والله يا بنى ، استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان قدامى كالقط » .

وحدث أن أستاذ دار الصالح وهو فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبل خانه ، وظلت تضرب هنالك ، فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين أمر بهدم ذلك البناء ، ومضى بجماعته وهدمه ، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان ، فأسقط عدالة الوزير ، وعزل نفسه عن القضاء . فعظم ذلك على السلطان ، وقيل له : اعزله عن الخطابة ، وإلا شنع عليك على المنبر كما فعل فى دمشق فعزله . وقد أمضى الخليفة المستعصم ببغداد حكم عز الدين فى فخر الدين ، فلم يقبل رسالة عن السلطان كان راويها الرسول أستاذ الدار .

أقام عز الدين فى منزله يشتغل عليه الناس ، ويدرس ، وأخذ فى التفسير فى دروسه ، حتى إذا بنى السلطان المدرسة الصالحية فوض أمر تدريس الشافعية بها إلى عز الدين .

وكان العز مع الفقهاء الذين قدموا على المعظم توران شاه ، وناظرهم السلطان ، وشهد معركة المنصورة سنة ٦٤٨ مجاهداً فى سبيل الله ، ولم يزل مرعى الكرامة فى عصر السلاطين ، يعتمدون عليه ويستشيرونه ، ويأخذون برأيه ، ومن ذلك أن التتر عندما هاجوا البلاد الإسلامية جمع المظفر قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه فى أمر التتار ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم ، فحضروا فى دار السلطنة بقلعة الجبل ، وحضر الشيخ عز الدين والقاضى بدر الدين السنجارى قاضى الديار المصرية ، وغيرهما من العلماء وأفاضوا فى الحديث ، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام . وخلاصة ما قال أنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم بشرط ألا يبقى فى بيت المال شىء ، وتبيعوا ما لكم من الأدوات الذهبية والآلات النفيسة ، ويقتصر الجند على مركوبهم وسلاحهم ، ويتساووا هم والعامة . وأما أخذ الأموال من العامة

مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا .

وكان الظاهر بيبرس يعظمه ، ويقف عند أقواله وفتاويه ، وأقام الخليفة بعد استشارته ، ومما يدل على منزلته الرفيعة أن الظاهر لم يبايع المستنصر والحاكم إلا بعد أن تقدمه عز الدين ثم تلاه السلطان ثم القضاة (١) .

وفى عهد الظاهر بيبرس فى ١٠ جمادى الأولى سنة ٦٦٠ مات عز الدين بعد أكثر من عشرين عاماً قضاها فى مصر يحيط به الإكبار والإجلال . ويقال : إن السلطان أرسل إليه لما مرض ، وقال له : عين مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال عز الدين : ما فيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ففوضت إليه . وشهد الظاهر بيبرس جنازته ، وصلى عليه ، وحضر دفنه ، كما شيعه الأمراء والخاصة والأجناد وطبقات الشعب . ومما يدل على ما وصل إليه عز الدين من النفوذ ما يروى من أنه لما مرت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : الآن استقر أمرى فى الملك؛ لأن هذا الشيخ لو أمر الناس فى بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره .

ولعز الدين بن عبد السلام مؤلفات فى الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والتصوف .

ففى الفقه له كتاب القواعد الكبرى الذى قال عنه تاج التراجم : ليس لأحد مثله . وقال عنه السبكى : هذا الكتاب وكتاب مجاز القرآن شاهدان بإمامته وعظيم منزلته فى علوم الشريعة . واختصر القواعد الكبرى فى قواعد صغرى . وله فى الفقه أيضاً كتاب الغاية فى اختصار النهاية . وكتاب الإمام فى أدلة الأحكام ، والفتاوى الموصلية ، والفتاوى المصرية ، وهى مجموع مشتمل على فنون من المسائل والفوائد .

وله فى التفسير كتاب سماه بحار القرآن (بدار الكتب رقم ٣٢ تفسير) ورسالة تسمى فوائد العز بن عبد السلام وهى أسئلة وأجوبة متعلقة بالقرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٧ م تفسير) وأخرى دعاها كشف الإشكالات عن بعض الآيات ، وهى أجوبة عن أسئلة مشكلة فى آيات من القرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٣٦ تفسير)

واختصر فى الحديث صحيح مسلم .

ووضع فى علوم الكلام كتاب الفرق بين الإيمان والإسلام ، وكتاب بداية السول فى تفضيل الرسول .

وفى التصوف — وكانت له يد طولى فيه — ألف بيان أحوال الناس يوم القيامة ، وفوائد البلوى والمحن ، وكتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز تكلم فيه عن بعض أحاديث وألفاظ من كلام القوم ، وكتاب مسائل الطريقة فى علم الحقيقة .

ولم يترك عز الدين كتباً فحسب ، ولكنه ترك تلاميذ صاروا من أعلام الأئمة ، ومن نوابغ العلماء ، نذكر منهم ابن دقيق العيد ، وهو الذى لقب أستاذه بسلطان العلماء ، وعلاء الدين الباجى ، والحافظ الدمياطى والدشناوى ، وهبة الله القفطى .

أما أخلاقه فأظهرها الصلابة فى الحق والجهر به ، يحاسب غيره عليه ويحاسب نفسه ، ولا يمنعه من الرجوع إلى الحق الخوف من أن يقال أخطأ ؛ فقد أفتى مرة بشئ ، ثم ظهر أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به فإنه خطأ . قالوا : وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنادرة والشعر يستشهد به ، وإن كان لم يقل من الشعر سوى بيت واحد هو :

لو كان فيهم من عراه غرام ما عنفونى فى هواه ولاموا

قالوا : إنه أنشده لطلبته ، وقال لهم : أجيزوه ، فقال عمر بن عبد العزيز بن الفضل الأسوانى :

لكنهم جهلوا لذاذة حسنه وعلمتها لما سهرت وناموا

وأنشد قصيدة طويلة منها :

مولاى عز الدين عز بك الملا فخراً فدون حذاك فيه الهام

لما رأينا منك علماً لم يكن فى الدرس قلنا : إنه إلهام

وآخرها :

جاوزت حد المدح حتى لم يطق نظماً لفضلك فى الورى نظام

فعليك يا عبد العزيز تحية وعليك يا عبد العزيز سلام

كما مدحه الجزار بقصيدة أولها :

(١) هكذا فى طبقات الشافعية ، وفى النجوم الزاهرة (ح ٧ ص ١١٠) أن أول من بايع الخليفة قاضى القضاة عبد الوهاب ابن بنت الأعز ثم السلطان ثم عز الدين بن عبد السلام ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم .

رحلة في الديار المصرية في القرن الثامن عشر (الميلادي) :

النحلة النصرية
في الرحلة المصرية
لمصطفى البكري الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

في يوم السبت سابع جمادى الثانية ، ودَّع القرافة وتوجَّه لزيارة سلطان الرجال أحمد المكنّى البدوي الملوي ، صحبة الشيخ محمد الحفناوي وأخيه الشيخ يوسف ، والشيخ حسن ، والسيد عبد الله السلفيتي نجل المرحوم السيد حسن ، والأخ إبراهيم الحرستاني المعروف بالبلاصي ، وما زال يسير إلى أن عدَّى في المدية إلى قرية المرحوم وبات ليلة ، وجاء السرَّاق في الليل ، يسطون على الخيل نخيب الله مسعاهم ، وسار في الصباح مع إخوانه إلى قرية (مليج) وزار سيدي على المليجي صاحب المقام وتملّى بالجامع الذي عمره إسمعيل بك ابن إيواز ونزل دار صديقه الحاج عمر ، ثم استمرَّ في السير إلى أن لاحت قبة السيد المزور ، فنزل في البلد جوار سيدي أحمد ، وقرأ الفاتحة ، وكان معه الشيخ محمد الأحمل الحفني ، وبقية الرفاق ، وورد عليه المحب الشيخ محمد الاسقاطي وأخبره أن والده قادم للزيارة مع جماعة ، واستفسر عن نية الشيخ للتوجُّه إلى دمياط وطلب أن يرافقه. وفي الصباح سار لزيارة سيدي عبد الوهاب الجوهري، صاحب المقام وأخبر أن جناب الشيخ محمد البديري بن الميت في قريته فتوجه إليه واجتمع عليه وطلب أن يرافقه الشيخ في المدية إلى دمياط ، فقال له إنه وعد بذلك الشيخ محمد الاسقاطي، فقال إذن نزور في البر قبل الوصول إلى البحر جناب الشيخ محمد الشناوي ، فأجابه لذلك . وعاد إلى المنزل فوفد عليه العالم والد الشيخ محمد جناب الشيخ أحمد الاسقاطي، وأكّد كلام ولده ، ثم ودَّعه ، وعاد عند الظهر إلى الجامع الأحمدي ، وبعد العصر ، حضر لمنده فاضل ، يدرِّس في الجامع قريباً من

سار عبد العزيز في الحكم سيراً لم يسره سوى ابن عبد العزيز
عمَّنا حكمه بعدل بسيط شامل للورى ولفظ وجيز

وكان معاصروه من العلماء يضمرون له أعظم الإجلال ، وقد رأينا موقف الحافظ المنذري منه ، أما ابن الحاجب فكان شديد الإعجاب به ، متفقاً معه في لوم الصالح إسمعيل الذي أخرجهما معاً من دمشق ، وكان ابن الحاجب يرى العز أفقه من الغزالي . وكان عز الدين وأبو الحسن الشاذلي يعجب كل منهما بصاحبه ، يحضر العز عند الشيخ ويسمع كلامه في الحقيقة ويعظمه ، وقال أبو الحسن الشاذلي : قيل لي : ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم ، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك . ووضع القاضي عز الدين المكاري مصنفاً في سيرته. كما ترجم له السبكي ترجمة كلها إعجاب به بدأها بقوله : شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، وإمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وقوة جنان .

(حلوان الحمامات)

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

مراجعه :
١ — فوات الوفيات ﺟ ١ ص ٢٨٧
٢ — النجوم الزاهرة ﺟ ٦ و ﺟ ٧ في مواضع متفرقة
٣ — طبقات الشافعية للسبكي ﺟ ٥ ص ٨٠
٤ — ذيل الروضتين ص ١٧٠ و ٢٠٨ و ٢١٦
٥ — تاريخ القضاء في الإسلام لعرنوس ص ١٩٣
٦ — حسن المحاضرة ﺟ ١ ص ١٤١ و ﺟ ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠
٧ — خطط الشام ﺟ ٤ ص ٤٧ و ١١٠
٨ — السلوك للمقريزي ﺟ ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦
٩ — المختصر في أخبار البشر ﺟ ٣ ص ١٦٩ و ١٩٦ و ٢١٥
١٠ — نهاية الأدب ﺟ ٢٨ ص ١٨
١١ — بدائع الزهور ، لابن إياس ﺟ ١ ص ٩٤
١٢ — تاج التراجم ص ١٥١
١٣ — شذرات الذهب ﺟ ٥ ص ٣٠١
١٤ — كشف الظنون ﺟ ١ نهر ٢٢٠ و ٤٣٨ و ﺟ ٢ نهر ١٥٨٠
١٥ — كتبه .
١٦ — فهارس دار الكتب .
١٧ — معجم المطبوعات لمركيس ﺟ ١ نهر ١٦٤

الإمام ، وهو شريك الأخ الشيخ محمد على المرحوم جناب الشيخ أحمد الخليفى فدعاه لداره . وودَّع الداعى بعد قيامه بأمر الضيافة فلما وصل فنـاء مسجد الشيخ ، رأى شاباً ممسكاً للشبـاك ، وهو يبـكى والناس حوله يهدون الفواتح للسيد ، فإذا هو ليده ممسك مقيد ، فسأل الشيخ عن قصته ، فأخبر أنه سرق حمارة ، ففطن به ، فأنـكر ، فأتى به إلى الشيخ لعله يتوب ، فوضع يده على الشبـاك ليحلف ، فأمسك الشيخ يده فتـاب وبكى ، فلم يطلق إلا بعد ساعتين أو أكثر حتى شفع فيه جميع من حضر .

وبات ليلته وجاءه الأخ محمد بما تيسر من الزاد ، وحضر الشيخ محمـد الأسقاطى بالدواب فتوجَّه معه إلى أن لحقوا بالشيخ محمد البدرى ، ونزل قريباً من زاوية الشـناوى ، وما زالوا يسيرون حتى وصلوا المحلة الـكبرى ، ونزل الشيخ فى وكالة الحرير ، وكان الشيخ أحمد الاسقاطى نزل عند محب قديم يقال له الحاج إبراهيم رضوان فأرسل ولده يستدعى الشيخ ، فذهب وبات عنده .

وفى الصباح توجَّه يوم الخميس إلى قرية (سمنود) وركب والشيخ أحمد فى قياسة حتى وصل (المنصورة) وقصد زيارة الشيخ عبد الله الرفاعى ، وبعد صلاة العشاء أقلع والريح غير صريح ، فوصل قبل دخول صلاة الجمعة إلى (شربين) وبعد الصلاة زار مقام سيدى شمس الدين محمد الشربينى . وسـأله الشيخ يوسف الزين شقيق الشيخ محمد الحفناوى تخميس بيتين ففعل .

ولما وصل (فارس كور) توجَّه إلى زيارة الشيخ أبى مدين الحدادى ، وكانت ليلة مولده والفقراء يسمون إليه من كل نادى ، فقرأ له الفاتحة وزار على أثره الشيخ إبراهيم الأحمدى ، فقدم له رز حليب فأكل منـه لقيمات وصلى الصبح فى جامعها الـكبير ، وتوجه إلى مدينـة دمياط ودخلها مع الظهر يوم السبت . وزار أبا على الصياد ، ونزل فى خلوة شيخه الشيخ محمد البدرى التى فى جامع البحر للمـدَّة للوارد على الدوام ، وصار الشيخ يتردد عليه ، ودعاه لداره وأكرمه . وكذلك أضافه عنده الشيخ أحمد الاسـقاطى ، وأوقفـه على بعض ما له من الحواشى . وجاءه بعض الإخوان برسالة للسيوطى وطلب نظمها ، فنظمها فى مائة بيت . وسماها النظام (البسط التام ، فى نظم رسالة السيوطى الهمام) وأخبره الشيخ أحمد الاسـقاطى أن عنـده على الرسالة شرحاً ، وأوقفـه شيخه البدرى على قصـيدة امتدحه بها الشـيخ عبد الغنى النابلسى[١] وطلب منه أن ينسج على منوالهـا فتردَّد ثم فعل .

وكان الشيخ البدرى لا يفطر إلا لديه ، ويصحب معه الفطور والقهوة ، ويجلس فى مؤانسـته إلى الضحوة . ثم توجه به إلى زيارة الشـيخ ضرغام ، فذهب فى قياسة وصحبه السيد أحمـد الطرابلسى ، وخاله الحاج مصطفى وبعض الأحباب ، وبعد الزيارة دعاه لداره وأراه سبحة الشيخ الزطاوى ، وقال أن الشـيخ أعطاه إياها غب الإجازة وأخبره بما سطره عنه فى (السيوف الحداد فى ترجمـة سيدى محمد مراد النقشبندى) وسأله الأجازة فأجاب وذلك فى غرة رجب سنة ١١٣٣ ، وقد ذيلها بإمضائه ونسـبه وهو : محمد بن محمـد بن محمد بن أحمـد البدرى[٢] الدمياطى الشافعى الأشعرى الشاذلى النقشبندى .

وقصد زيارة الشيخ على السقا ، ثم زار سيدى الشيخ فتح ، ومر على الشيخ جمال الدين العجمى ، فقرأ له الفاتحة ، وحضر عند الشيخ فتح مجلس ذكر ، ثم ذهب إلى بستان السيد كمال النقيب سابقاً ومكث فيه إلى قبيل الغروب ، ثم رأى أنه ذكر سيدى إبراهيم التبولى ، فأخبر بذلك الشيخ قاسم نجل الشيخ يوسف ، وقال له عن مراده فى زيارة السـادة التبولية ، وبعض المقامات ، فزار جناب الشيخ محمد العصيفرانى وجناب سـيدى أبى العباس الحربثى ، والشيخ الضيروطى وسيدى حسن الطويل ، وسيدى محمد المواجه له ، وزار سيدى محمـد العياشى وأبا الطيب والشيخ محمد هارون والشيخ يوسف المغربى . وكان يخدم شيخه البدرى رجلاً اسمه صبح وكان بعض الناس يمازحه بقوله : بالله يا صبح لا تزرنى ، يا صبح بالله أنا دخيلك ، وهذا موشح قديم فقال الشيخ :

حى جفانى ، فطال ليلى ، وقد كوانى ، وهد حيلى ، ومذ سبانى ، بفرط ميل ، ناديت يا ليل بالثانى ادخل فإنى دخيلك. الخ.

وممن دعا الشيخ وكرر الدعوة صديقاه الحاج محمـد والحاج مصطفى وهما خالا السيد أحمد الأدهمى ، وكان يصحبه فى البعض شيخه الشيخ البدرى . ثم إن الشيخ المذكور عزم أوائل رجب

(١) صاحب الرحلة المشهورة من دمشق إلى القـدس ، القطب الكبير . زار القدس سنة (١١٠١ هـ)

(٢) جد آل البدرى فى القدس .

على التوجه إلى مصر لأن له عادة فى النزول أوائل الأشهر الثلاثة واقراء الحديث الشريف فتوجه فتألم الشيخ لفراقه .

وكان قبل هـذا التاريخ اجتمع بالعالم الشيخ حسن المفتى الحنفى ، وجاءه للخلوة ، ودعاه لداره ، فسر بالاجتماع به ، وممن اصطحب معه فى الخلوة الشيخ محمد المنيدى .

كان الشيخ قد سمع وهو فى الديار الشامية أن دمياط فيها سلطان الناموس فلا ينام فيها إلا بناموسية فقال لما لم يجد ذلك :

وقد قيل للناموس فيها سلاطة ... ولم أر ما قد قيل فى جامع البحر
ويمكن أن البحر لما به نوى ... وذاك ذكى الدين فر من البحر

وكان لحقه إلى القاهرة أخ اسمه عثمان ، وجاء من غير إذن من الشيخ ، نخالف المشورة ، وأمره الشيخ أن يركب من المغفر فى شيطية (١) ، فركب فى قياسة فأسرت دون غيرها وأخذ إلى ملطية (٢) ، فحزن قلب الشيخ عليه ، ولم يطق رد ما أرسله مولاه إليه ، ولم يسعه إلا الحوقلة ، ولوجىء به كعادتهم أحياناً إلى الثغر ، لهرع أهله إلى شرائه من الأسر ، ولكان اشتراه الشيخ بالنقود ، ولكن لم يتم له ذلك .

وانشد صديقه السيد أحمد بن صالح الطرابلسى الأدهمى مصراع مواليا وطلب من الشيخ أن يضيف إليه وهو : بالله يا بدر خذ لى فى طرف عينك فقال الشيخ :

فإن مضناك يشكو سيدى بينك
ما فيك من شين غير الهجر يا حينك
لا أبعد الله ما بينى وما بينك

وأنشد شطراً آخر وقال له أجز فانشد الشيخ :

بالله منيتى أرفق بهـذا الصب
رشا بحبك لقد صب الدامع صب
يهواك طفلاً رضيعاً يافعاً بل شب
وكلما شاخ حبك فى حشاه شب

وأرسل الشيخ حسن إلى الشيخ زوادة لطيفة لما بلغه قرب سفره وكان ينتظر قدوم (البليك) فتعذر ذلك .

(١) من أسماء السفن التى جاء ذكرها فى الرحلة ، القياسة ، والبليك والشطية والمعدية .

(٢) يستدل من هنا أن القرصنة كانت شائعة حينذاك .

وجاء المشار إليه مصاحباً معه سنده فى حديث المصافحة وقال له : أردت أن أتحفك بهذه التحفة ، وصافحه وقال « صافحتك كما صافحنى شيخنا الشيخ أحمد البنا ، كما صافحه شيخه سيدى أحمد بن عجيل اليمنى فى منزله ، كما صافحه شيخه تاج الدين النقشبندى ، كما صافحه الشيخ عبد الرحمن المشتهر بحاجى رمزى ، كما صافحه الشيخ محمود اسقرازى ، كما صافحه أبو سعيد الحبشى الصحابى ، كما صافحه سيد الأولين . وهـذا سند شيخنا البديرى ، كما هو مسطر فى ثبته مع زيادات فانتبه » وودعه مسروراً .

وكان قد وفد رجل طرابلسى استأجر(١) (شطية) مغفرة إلى البلاد فاجتمع به أصحابه السيد أحمد وأخواله وكلموه فى نزول الشيخ معه فأظهر القبول . ثم عزم الشيخ على التوجه إلى العزبة مع الرفاق وحضر لوداعه الشيخ أحمد الاسقاطى ، فاستجازه بمروياته فأجازه ، وبعد أن ودّع الإخوان توجه إلى العزبة ، وبات بها ليلة.

وفى الصباح تموقت (القياسة) حتى طلع الريح ، فلم يمكن المعدية أن تقطع العتبة فاحتاج أن ينام عند برج الشيخ محمد ،

وكان قد قصده للتنزه والتفرج مع شيخه البديرى ، ويقول الشيخ « وهذا البرج فيه بعض مدافع (٢) ، ترهب العدو ، إذ الأمر الإلهى ماله مدافع ، ولقد تمنيت أن لو مكنت فبنيت أبراجاً عدة ، على سواحل البحر ، يكون فيها للثغور نجدة وعدة ، وليست إلا حماية الله هى الواقية ، وكفاية الله هى اللاقية ، وجماعة العزبة عندهم رهبة للعدو وفى الفرار رغبة ، فلا يستعمل على المراكب ، إلا كل مغربى متين السيوف راكب ، فإن لهم معرفة بالحرب ، وحب فى الطعن والضرب ، وبغض فى الكفرة اللئام ، واقتحام فى ميدان الاهوال العظام (كذا) فقصدنا البرج نهاراً ، وبتنا لديه إلى أن زاد الفجر إسفاراً ، وقطعنا العتبة أول النهار ، والبحر ساكن ، والقلب بعون الرب راكن ، ووصلنا (الشيطية) ، وأجلست فى القمرة التحتية ، وأعددت نزولى فيها من الذنوب السوالف ، حتى جرى الدمع على الخدود والسوالف ، ولقد كنت أتطير من النزول فى المغفر ، لما أسمع من تعاطيهم المنكر ، ولما عرف مستأجر المركب قبطانه فينا ، أخذ يلاطفنا ويصافينا ، حتى أنه

(١) يستدل من هذا أن التجار كانوا يستأجرون هذه السفن الأجنبية

(٢) فى هذا ما يدلنا على الأستحكامات الدفاعية لدمياط فى ذلك العهد

أذاب ماء وسكراً ممزوجاً بماء الليمون ، وأتاني به فلم أقبله خوفاً من نجاسة الماعون ، فنادى المستأجر وأخبره بطهارته ، فأعلمه بعدم شربه ، ومن مهارته أمره أن يغسل آنية ، وأن يتعاطى تذويب السكر بيده علانية ، ففعل كما أمر وجاءني بها الريس ، وأظن اسمه عمر ، فشربت بعض شربي ، حيث طاب قلبي ، وصار يتلطف بي ، ويدعي ودي وحبي ، وأنا بريء منه ومن وداده ؛ وفي غنية عن حبه وانقياده » .

ونام أول ليلة وهو يأمل سرعة الوصول إلى يافا ، فتراءى له في المنام أحد شيوخ دمشق الشام واسمه أحمد سراج ، ونشر أسابيعه الخمس ، فاستفاق الشيخ مذعوراً ، وبان أن المراد الإقامة في البحر خمسة أيام ، ومكث الريح الرخ أربعة أيام يهب ويستريح وقابل هو وإبراهيم البلامي الحريثي الرسالة الرسومة « بالمنهل العذب السائغ لوراده ، في ذكر صلوات الطريق وأوراده » وقابل « الألفية في طريق السادة الصوفية » . وضاق الشيخ ذرعاً لطول الإقامة في البحر ، من أمر النجاسة ، فإنهم أي أهل المركب كانوا غارقين فيها حساً ومعنى ولأنهم لا يعرفون أنها من النجاسة .

وفي ليلة الخميس ويومه ، طالت كربة الشيخ ومن معه ، فتوسل بسيدي أحمد البدوي أن يسوق له صبيحة الجمعة « الريح اللين ليخلص من القبطان وجنوده ، جنود الشيطان ، وجاءه القبطان يشكو قلة الماء ، وأقسم بدينه أن الماء لا يكفيه غير اليوم مع التدبير ، ولم يبق عنده إلا أواني الجر . فاغتاظ الشيخ من كلامه وتأثر ، وقال المستأجر وكان هو الترجمان بينه وبين القبطان : إن الله سيسهل بالفرج وزول الضيق ، فقال له قل له يأمر الركاب يجتمعوا ويدعوا الله عسى يجيب . فأجابه الشيخ قائلاً للترجمان قل له إن في هذا اليوم المبارك بعد الظهر بيسير ، يأتي الريح وندخل يافا قبل الغروب ولا أبات الليلة الداخلة إلا في يافا ذات الوجه النضير » . ففهم القبطان ذلك وسر ولم يقطع بقول الشيخ . ولما زالت الشمس هب النسيم ، ثم زاد على المعتاد حتى خال الشيخ (الشيطية) تطير في السير ، وخاف الشيخ من تقريع القبطان ، وستر الستار الكبير ، وفرش له فوق قرنه للتفرج على البحر ، وكشف البر عقيب العصر وزال الضيق ، وألقى المرساة ونزل الشيخ في (قياسة) صغيرة وبات في جامع البحر ليلة السبت وقد سر سروراً عظيماً . ورأى القافلة متوجهة إلى الديار ، فحمد الله على تسهيل قرب المزار . وبلغ الوطن[1] .

ولما استقر به المقام ورد عليه كتاب من الشيخ محمد البديري فلم يجب عليه إلا في بلاد الروم وأودعه في الرحلة الرومية ، وبعد ذلك أرسل كتاباً إلى مفتي ثغر دمياط الشيخ حسن ، وآخر إلى الشيخ محمد الحفناوي ، ثم مرض الشيخ وامتد أمر سقامه نحو سبعة أشهر وأيام ، وفي هذه الأثناء جاءه كتاب من الشيخ محمد المذكور . وكانت والدة الشيخ وردت عليه للزيارة .

ثم اقتضى أمر أوجب سفر الشيخ إلى حلب الشهباء ذات الخفر ، ولم ير بداً من التوجه لأمر اقتضاء الحال فعزم على المسير بعد ما استخار الله ، وكان قبل ذلك بشهر ، قال له الدرويش يعقوب الهندي إن في نيته الذهاب إلى حلب فتنى الشيخ ذلك ، فقال له الهندي بل بعد ذهابك إليها ستتوجه إلى بلاد الروم ، فأجابه الشيخ ما الذي يصنع في بلاد الروم ولا غرض له فيها ؟ فقال له إنها بلاده ، ولما أراد السفر توجه معه إلى حلب ومنها فارقه إلى بغداد .

وتوجه بعد مدة إلى بلاد الروم وسطر ذلك في رحلة سماها (تفريق الهموم وتغريب الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم) وأبقى الوالدة في داره في بيت المقدس ، وقد حزن على فراقها ولكنه رضخ لحكم الأقدار (انتهى) .

أحمد سامح الخالدي

---

(١) بيت المقدس .

حب المنطق

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب تواتيه الحياة بأبهى ما يرجو شاب من الحياة . مال وافر ، وسمت جميل . وهو بعد ذو روح فنانة عذبة . لم تمل به كل هذه المقومات إلى ما ينزلق إليه الشباب ، بل كان منذ مطلع شبابه كبيراً على اللهو ، يرى فيه طفولة غير جديرة به . وما زال كذلك حتى بلغ سنا يفاخر فيها الشباب بآثامهم ؛ فكان يجلس إلى أترابه ، يقص كل منهم عليه ما ارتكب فى زهو . بل كان منهم من يخلق لنفسه جرائم كان يعلم صاحبي أن محدثه براء منها . ولكنه كان يسعده بتصديقها فيسعد . ثم يقبل هؤلاء الأتراب على صاحبهم يسألونه ما فعل وما يفعل ، ظانين أنه سيقص عليهم ما يعجزون هم عنه ... وهو ذو السمت الجميل والمال الوافر . وكم تفيد هاتان الخلتان إذا شاء صاحبهما منهما إفادة ! ولكن صاحبي كان دائماً يخيب ظنهم ، ويعلمهم أن أمره غير أمرهم ، فيعتقدون أنه كاذب فى ادعائه ، ويظن بعضهم أنه شديد الدربة والمران . ومن تمام المران ألا يخبرهم بما يفعل . ويحاول بعضهم أن يظن بصاحبي سذاجة ؛ ولكن سرعان ما يرده عن تفكيره بديهة فيه متوثبة ، وسخرية لاذعة كان يقابل بها كل من يحاول من أمره عبثاً .

كنت وحدى أعلم السر فى ذلك ، وما كان لى أن أدعى بهذا معرفة لولا أننى عرفت الصديق طفلا حين كنت أنا طفلاً ، ثم درج ودرجت معه متلازمين لا نفترق إلا الفترة الوجيزة ، فهو فى غير حاجة إلى أن يطلعنى على سر استقامته . لقد نشأ الطفل فى بيئة تجمل من الطفل صبياً ، ومن الصبي شاباً ، ومن الشاب كهلا . فتراه فى طفولته يجلس إلى قوم يكبرونه فى السن . ولم تكن الطبيعة قد هيأت له إذ ذاك أن ينظر نظرة منحرفة .. فإذا مال بهم الحديث رأى فى كلامهم وجهاً غير الذى يجرونه عليه حتى إذا كبر قليلا وفهم ما كان يقال على وجهه ، كان رفاق ندوته قد ملوا هذا الحديث وشبوا عنه ، فسار معهم حابسا كلاما ، كابتاً شعوراً ... لا يفضى إذا أفضى إلا لنفسه .

هكذا كانت الحياة ترتفع به عن مكان سنه ؛ وهكذا اضطرته أن يرتفع عما يفعله أترابه . فكان فى شبابه كهلا واسع الأفق ، يجيد كلام الرجال ، ويحسن ما يحسنون . ولكن أمراً واحداً كان يحيرنى فيه ... قد يستطيع الشاب أن يستقيم فلا يلتوى به الطريق ، ولكن هل يطيق قلبه هذا الخمود ؟ ألم يحب ؟ ألم يجمح ؟ إن صديقى على استقامته واعٍ يفهم الحياة كما هى ، ولا يحب أن يخدع نفسه عن نفسه . فهو يعلم أن لا حياة له إذا لم تقم بينه وبين الجنس الآخر صلة .

أقبل على ذات يوم ضاحكا كعادته ، وكنت أفكر فى أمره فسألته فى مجابهة .

— ألم تحب ؟

فاربد منه ما كان ضاحكا ، وغامت عيناه ، وأطرق يخفى ما ألم به ، ثم تماسك قليلا ورفع إلىّ وجهاً باهتا وقال :

— حتى أنت تسألنى ؟ ومن أحب ؟ النساء يا أخى نوعان .. شريفة أرهب مفاتحها بحبى ، وساقطة أرغب عن حبها الميسور لأنى أخشى .

— وهل يعرف الحب هذه الحدود ؟ أو لك على قلبك كل هذا السلطان ؟

— إسمع ... أنا أعلم الناس بنفسى ... إننى شاب تخطيت سن البدء فى اللهو ، وأعرف فى قلبى رقة وإجدابا ، وهذان أمران إن وجدا فى قلب وأحب ، فهو بين أمرين : إما أن ينتهى بصاحبه إلى السعادة كل السعادة ، أو إلى موت لا قيامة له منه . فإذا أحببت من لا أعرف وأنى أنها تحبنى — معتمداً على نظرة أو بسمة يثبت لى بعدها أنها قد منحت عن غير قصد — فأنا إلى فناء . فترانى أمنع قلبى كلما أوشك أن يبدأ ... أمنعه بإرادة تظن أنت أنها قوية ، وهى فى الواقع مع القلب خائرة ... لأن كل ما تفعله هو أن تمنع هذا الحب قبل أن يبدأ . أما إذا بدأ ، فلا إرادتى ولا منطق بمستطيعين له ردا ... إننى إذا أحببت ، فسأحب بقلبي وإرادتى ومنطقى جميعا . ولن يكون هذا حتى

أسألها وحتى تجيب .

— وأين لك مثل هـذا ما دمت ترهب الشريفة وتنفر عن الساقطة ؟

— أنا لا أحتم الإجابة الصريحة .

— أنا الآن أسألك كيف تستطيع أن تسأل ، لا كيف تجيب هي .

— إن اعتمادي يا صاحبي على الظروف .

— إننى لم أر فى حياتى رجلا يحكم منطقه فى قلبه كل هذا التحكم ... ورجو بعد هذا أن يحب .. إن الحب يا صديقى قلب يتأجج وتتضرم به النار .. لا يعرف العقل ولا يسأله ، ولا يطيق العقل أن يقحم نفسه فى أمر لم يخلق له ... الحب يا صديقى هو السعادة ... شقاؤه سعادة ، والحرمان فيه سعادة .. والوصل فيه سعادة ... والهجر فيه سعادة ... الحب ...

— كفى كفى . أمحاضرة هى ؟ أنت تعلم مقدرتى على رواية الشعر . إنك فى كل قولك هذا لم تأت بجديد ... كل هذا كلام قرأناه وحفظناه حتى مللناه .. إننى شخصياً أحب الحب .. ولكنى حتى الآن لم أجد من أحوّل إليها عاطفتى ، وأخشى أن تنحرف العاطفة فتنحرف معها حياتى أجمع .. وثق أننى يوم أحب سوف يكون حبى أعمق من كل حب قرأت عنه أو سمعت به ، لأننى سوف أحب يومذاك بمنطقى كله ، وقلبى كله ، ولا أظن واحداً ممن خلد الحب اسمهم قد حكم المنطق فى حبه ؛ ولذا ترى معظمهم قد فجعوا فى حياتهم ، وانتهى بهم الحب إلى مالم يريدوا لأنفسهم ، ولم يخطر بمنطقهم يوم بدأ القلب يقوم بمهمته . وثق أنهم لو فكروا كما أفكر ، لكان الحب لهم نعيما كما سيكون لى إذا شاء الله .. أقسم أنك لم تفهم شيئاً مما قلت ، لأنك لا تحاول ذلك ... قم الآن فانثر ما قلت أو انظمه على من يطيب لك أن يسمعه . أما أنا فغنىّ عنه ... هيا .

— حسبك حسبك .. تزعم أن حبك سيكون أقوى حب فى التاريخ .. لقد والله انتهزت فرصة صداقتى وأسمعتنى هـذرا لا يسمع لك به إلا مجنون مثلك .

— ألم أقل إنك لم تفهم ما أقصد إليه . لم يكذب ظنى بك .

ومرت على هذا الحديث فترة لم ألقه فيها ، عاد بعدها تنضر وجهه ابتسامة لم أرها من قبل .

— ماذا ؟ أحدثت المعجزة ؟

فلم يزد على قوله .

— نعم .

— كيف ؟ ومتى ؟ وماذا قلت ؟ وماذا قيل لك ؟ وماذا تم ؟ وماذا تنوى أن تفعله ؟ وماذا تحس ؟ أجب أجب .

— لا جواب .. كل هذا مضى ، ولا شأن لك به . ولكن اعلم أن للعقل كما للقلب عاطفة ، وإن العقل بهذه الآصرة يتحكم فى القلب ، وإن الحب الصحيح هو حب القلب والمنطق جميعاً .

— والله لن أصدق حتى أجرب أو تقص .

— أما أن أقص فلست بذاك وأنت تعلم . وأما أن تجرب فهاءنذا أدعو الله أن يهىء لك هـذا الحب .. حب القلب ، وحب المنطق .

ثروت أباظة



الزهريات الكلاسيكية

للدكتور أحمد موسى

— ٣ —

مما يبعث السرور فى النفس وسط ما يحيط بنا فى هذه الأيام من مصاعب ومنازعات أن نرجع إلى حكمة جاءت على لسان ماتيو آرنولد الناقد الفنى العظيم حيث يقول :

مثل الرجل الذى يميل إلى الفن ثم يبتغى لهذا الفن غذاء فى غير مخلفات الإغريق ، وكذلك الذى يميل إلى الشعر من غير أن يستعين فى تنمية هذا الميل بهوميروس وأبى العلاء وشكسبير وجوته ، كمثل من يلتمس التهذيب والخلق القويم فى غير الكتب السماوية !

وعلى ذلك يقرر آرنولد Mâthew Arnold أن من الكتب السماوية ومن هوميروس وأبى العلاء وشكسبير وجوته ، ومن الفن الإغريقى ؛ مجموعة تلك المخلفات القديمة العظيمة الخالدة ، هى التى ستبقى أبداً الباعث القوى والمثال الحى والمعين الذى لا ينضب لأعمال الإنسان !

أكتب هذا بمناسبة خطاب وصلنى من (قارىء) يعتب على الكتابة فى فن الإغريق ، فى وقت ظهرت فيه القنبلة الذرية — ويقول أنه يرى من الخير مماصرة باحث الفن وناقده ومؤرخه للوقت الذى يعيش فيه ؛ فيكتب فى الفن الحديث وفى اتجاهاته ومدارسه .

وهذا قول لا غبار عليه لو أردنا الكتابة لمجرد الترفيه عن القارىء بكتابة ما يلذ له أن يقرأ ، ولكن « مجلة الرسالة » التى كافحت ستة عشر عاماً فى خدمة الأدب والعلم والفن الرفيع ولم ينزل صاحبها مرة إلى السوق ليعرف مطالبه ، بل ظل رابضاً كالأسد يرفع من مستوى الناس ولا يهبط هو إليهم ، حتى ولو عاد عليه هذا الهبوط بالرواج العظيم — ليست المجلة التجارية التى تريد اكتساح السوق !

ولما كنت أعتقد أن الخير كل الخير هو تثقيف القارىء تثقيفاً فنياً يعود عليه بإدراك معنى الفن إدراكا سليما فيرى ويسمع ويفرق بين الجيد وغير الجيد ؛ رأيت أن أكتب عن الإغريق غير مهتم بتسلية القارىء والترفيه عنه .

ولا أنكر أن معظم الناس يعتقد فى هذه الأيام بعد ظهور الاختراعات الحديثة كالقنبلة الذرية والرادار والتليفزيون والبنسلين أنهم أحسن بكثير من السلف ، وإنه لا داع بعد اليوم للتعلق بأهداب أعمالهم ، وهذا راجع ولا شك إلى ما أحدثته الحرب الأخيرة — وكذلك الحرب التى قبلها — من قلق واضطراب وتعلق بالماديات لم يمهد له مثيل فى سابق العصور ، حتى فى بلاد الشرق التى لم تدر فيها المعارك الحاسمة !

وأراه مناسباً فى هذا المقام أن أبين فى كل اقتضاب الأسباب التى من أجلها لا يزال الفن الإغريقى سيد الفنون جميعاً . فنحن معشر المصريين لم يبلغ تقديرنا للفن مبلغ تقديرنا للشعر والأدب والفلسفة ، ذلك لأن لنا فى مجال الشعر والأدب والفلسفة إنتاجاً قومياً عرف قدره فى الشرق كله وفى معظم البلاد الأوربية ، أما فى الفن ، فإن جهودنا ضئيلة تكاد لا تُذكر ، ولعل المقارنة بين الفن المصرى القديم وبين ما ننتجه الآن يحقق هذا القول .

ومهما يكن من شىء ؛ فإن المقرر أنه لولا ما للفن الإغريقى من التأثير المتواصل لما ارتفع الفن كثيراً فى كل أنحاء الأرض عن مستوى الفن الهندى أو الصينى أو الفارسى .

ففى المائة السنة السابقة على حروب الفرس التى وقعت بين عامى ٥٠٠ ، ٤٨٠ ق . م . كانت بلاد الإغريق بقسميها الأيونى والدورى أشبه شىء بشجرة أنبتت أغصاناً ناضرة انبثت فى نواحيها المتباينة ، وما انبثق لفجر القرن التالى لتلك الحروب ، حتى جاء هذا الغرس بأطيب الثمرات ، وأخرج لنا الأغارقة الآيات البينات ، التى ظلت حتى اليوم المثال الذى يحتذى به الإنسان ، والأفق العظيم الذى يمكن للعقل البشرى الوصول إليه !

والميزة الكبرى فى الفن الإغريقى أنه فن بسيط متوازن فى

تناسق ، يحاكى الطبيعة ويستلهمها فى طموح مستمر نحو الكمال ، فهو فن إنسانى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .



ش ١ — ديونيزوس ، إله الخمر فى نزهة بحرية بمركبه الشراعى تعلوه عناقيد الكرم وتحيط به الأسماك

وإذا كنت قد كتبت على صفحات الرسالة منذ عشر سنوات عن نواح مختلفة فى الفن الإغريقى ؛ فإنى أكتب اليوم ولا زلت مصراً على ألا أبدأ إلا به .

نعم كان فى مصر فن وفى بابل وآشور فن ، وكذلك فى كريت ، ولكنه لم يكن إنسانياً بالمعنى الذى نفهمه من هذه الكلمة ؛ ذلك لأن فنانى مصر وبابل وآشور وكريت انصرف اهتمامهم نحو تصوير عبادة الآلهة وتصوير الحروب والحياة البيتية والزراعية ، أما الصور الإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان كما قلت ، فإنها لم تأت فيما ذكرت إلا رموزاً متواضعاً عليها خالية مما يثير الشعور ، بل إنها كانت خالية مما يبعث فى النفس حب الجمال أو ما يسمو بالمشاهد فوق المستوى العادى .

عرف الإغريق آثار الفن الأولى ، ولكنهم أبوا أن يجتذبهم ما اجتذب الفينيقيين والإتروسكانيين الذين اقتصروا على تقليدها والنسج على منوالها . ذلك لأنه قد قامت فى نفوس الإغريق عقيدة هى فى طبيعتها أقرب إلى الوجدان منها إلى العقل وهى استحداث فن إنسانى كامل !!

وللبيئة الطبيعية والاجتماعية آثار ظاهرة فى نهضة الإغريق ، وسواحلهم الممتدة وكذلك مرافئهم ونهضتهم التجارية ، كل هذا مما زاد فى جدهم لا سيما فى منطقة الشواطىء الشرقية حيث كانت فينيقية ومصر وغيرها من الشعوب الشرقية ذات المدنية واقعة بالقرب منهم .

وهكذا كانت طبيعة البلاد وأحوال الاجتماع مما مهد السبيل إلى إيقاظ الفكر الإغريقى النابت فى أرض أوربية ذات جو (شرقى) معتدل .

هذا بيان لم يكن منه بد — وفى اعتقادى أن مرسل الخطاب لم يستمع بالراديو إلى حديث حضرة الأستاذ الكبير شفيق غربال بك فى معرض الكلام عن الكتب الأوربية الحديثة ، فلو أنه استمع إليه عندما أشاد بذكر الإغريق والعقلية الإغريقية وفضلها الدائم على العمل البشرى لما وجه إلىّ خطابه .

والآن أقول إن مصانع الفخار فى أثينا انتهت فجأة عقب الحروب الفارسية التى ألهبت العقل الإغريقى وأيقظت أحاسيسه الدفينة ، مما عاد على الفن الإغريقى بالخير العميم !

وإذن لم يكن غلق مصانع الفخار فى أثينا نتيجة لاستحالة تصدير المشكاوات إلى وسط إيطاليا Etruria — Tuskana كما يتبادر إلى الذهن ، بل نتيجة لاتجاه المصور إلى المساحات الفسيحة على الحيطان بدل المساحات المحدودة على الزهريات ، فعلى حيطان المعابد الأثينية وردهات المبانى العامة صورت المناظر العظيمة [سيكون للتصوير الإغريقى بحث خاص] وأخذ



ش ٢ — فتاة تسند رأس صديقها وقد عاد إليها ثملا !

موضوع الإنشاء الفنى يظهر كاملا فى الأفق ، والانسجام بين أجزاء القصة الواحدة متوافراً .

ولكن هذا — مع الاعتراف بأثره الانقلابي المظيم — لم يكن ليقضي قضاء مبرماً على فن الشكاوات ، ولكنه قضى على مبدأ تسجيل أسماء الفنانين عليها كما لو كان الفنان يترفع عن كتابة اسمه على مساحة بسيطة محدودة بالقياس إلى الصور الحائطية الهائلة .

والذي يهمنا على وجه التخصيص أنه قد نشأ عن انتشار التصوير الحائطي الاقتصار في صور الشكاوات على المناظر العاطفية الحية ، فترى ما يسجل الوداع بين حبيبين أو لقاء بين عاشقين أو ممرضة تضمد جراح محارب تحنو عليه ، وغير هذه وما يمت إليها بصلة ، هذا إلى جانب تصوير الورود والأزاهير والفاكهة .

أما إذا سجل الفنان مناظر قصصية فإنه يقتطف أحد مواقفها ويكتفي به للتسجيل ، فظهرت المصورات بسيطة الموضوع ظاهرة الغاية على نقيض المراحل الأولى ، وطبيعي أنه كلما كانت الفكرة محدودة وكان المعنى ظاهراً ؛ كلما أمكن الحكم على مقدرة الفنان وتقدير مدى نجاحه ، لأن المساحة وإن تكن محدودة إلا أنها تسمح عندئذ بإظهار قوة الفنان من خلال رقة الخطوط التحديدية وقوة تعبيرها فضلا عن بيان الأجسام في صنعة من الاتقان تفصح عن رشاقتها وقوة تأثيرها على المشاهد المتأمل .

واستخدم في هذه المرحلة لون الذهب واللون الأزرق والأبيض ، وخصصت لأجزاء معينة من صور الجسم الإنساني على الزهريات الصغيرة التي كانت تستعمل في تجميل الحجرات .

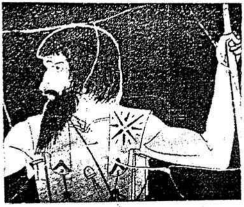
ولم يبق من نماذج الشكاوات الملونة شيئاً حفظ مستواه الفني



ش ٣ — الصديقتان

حتى القرن الرابع ق . م إلا النوع المسمى Lekythen وهي التي كانت توضع في الجبانات وإلى جانب المقابر .

ومنذ منتصف القرن الرابع وبعده بقليل أخذت زهريات أتيكا تختفي ، وحلت محلها مشكاوات جابتها أثينا بغية تصديرها



ش ٤ — المحارب العائد وقد طالت لحيته وتغضنت وجنتاه

إلى الخارج لا سيما إلى الجزء الجنوبي الغربي من روسيا ، وأهم المدن مثل باستوم وأبوليا وكانوزا وكابو Paestum ، Apulia ، Canosa ، Capua . وقد تشابه الإنتاج الفني للزهريات التي عملت بهذه المدن مع نظائره التي عملت في أتيكا — ولكن هناك فوارق فنية جديرة بالتنويه ، إلا وهي خشونة الطين المعمولة منه ، وظهور المصورات ضعيفة الخطوط مع الإكثار من الزخرفة لتغطية الضعف ، مثلها في ذلك مثل المغني الذي يلتزم الاختفاء بصوته وسط الدربكة الموسيقية ! وظهرت الزخارف الخطية والخيالية التي تذكرنا بالشكاوات المبكرة ، على حين ظلت الاتيكية على جانب كبير من الذوق الفني ، ولعل زهريات أبوليا كانت أبدع ما نذكره ، فمن بينها ما لا يزال مشهوراً بجماله وحسن تكوينه وطول عنقه في انثناء كعنق البجع .

ومهما يكن من شيء فإنه لم ينته القرن الثالث الميلادي إلا وكانت الآثار الباقية من هذا الفن ضئيلة ، وحلت محلها الزهريات المدنية ، وعليها رسومات بارزة Relief ذات بريق ولمعان ، انتقلت إلى بلاد الرومان وظلت فيها حتى اندثار دولتهم .

وتباهي روما ونابولي وفلورنسا مدائن باريس ولندن وبرلين وميونيخ وكارلزروه وفيينا وكوبنهاجن وبطرسبرج بمجموعتها الفريدة التي تكون سلسلة متصلة الحلقات لمن يريد مواصلة الدرس

أحمد موسى

الفتوة عنـــــد الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(مهداة إلى الأستاذ ضياء الدخيلي ، لمناسبة ما كتبه من أبحاث قيمة عن الفتوة في الإسلام وفي كتب اللغة والأدب وحياة الفتيان في الجاهلية والإسلام ؛ أوحت إلى كتابة هذا المقال) ع . ع

الفتوة : فعولة من لفظ فتى ، كالإنسانية من الإنسان والمروءة من المرء ، والفتى هو الشاب حدث السن ، قال الله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام « ودخل معه السجن (فتيان) — وقال (لفتيانه) » وقال عن قوم إبراهيم عليه السلام إنهم « قالوا سمعنا (فتى) يذكرهم يقال له إبراهيم » وقال عن أهل الكهف « إنهم (فتية) آمنوا بربهم » من هذا نرى أن الفتى اسم لا يشعر بمدح أو ذم كالشاب والحدث .

وللصوفيين رأيهم في الفتوة كما لغيرهم من اللغويين والأدباء والشعراء آراؤهم ، وكل يستعملها حسب هواه ، ويلبسها الثوب الذي يعجبه ويهواه ، فهم يستعملونها فيما يوافق تعاليمهم ويساير مذاهبهم ، في معاملة العبد لنفسه وصلته بغيره من الناس وصلته بخالقه جل شأنه ، وقد اصطلحوا على أنها منزلة من منازل الإحسان إلى الخلق ، وكف الأذى عن الغير ، والصبر على مايصدر منهم من أذى وسوء فعل ، وأنها الطريق الموصل إلى الذات العلية والحضرة الربانية ، وأنها نوع من أنواع المروءة : والمروءة ترك العبد مايشين أخلاقه أو يعود بالضرر على سواه ، والتحلي بمحاسن الأخلاق وحميد الصفات وكريم السجايا . فالفتوة عندهم كما قال قائلهم (الفتوة أن يكون المرء أبدا في أمر غيره) وهم يجعلونها منازل ودرجات كالأكثرية من تعاليمهم ، فهي عندهم ثلاث منازل أو ثلاث درجات .

المنزلة الأولى ، وتخص معاملة المرء لنفسه دون غيرها ، فيلزم من يتحلى بصفة الفتوة ، أن يترك الخصومة فلا يخاصم أحداً من عباد الله ، ولا يجعل نفسه خصما لأحد سواها ، فهي خصمه الذي يجب عليه أن يخصه بالمخاصمة ويقف منه موقف الحذر والترقب ولا يجعل لهـا سلطاناً عليه ولا يتبع هواها ، لينجو من سوء ما تأمر به وعاقبة ما تسول له . وفي ذلك قال بعضهم : (الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وأن لا تتخذ لك عـدواً سواها) . وقال الشبلي : (الفتوة أن لا تكون خصما لأحد سوى نفسك والشيطان) .

والفتى لا يخاصم بلسانه ولا ينوي الخصومة بقلبه — كما يفعل البعض الآن وما عليه الغالبية العظمى اليوم — ألسنتهم رطاب ، وبطائنهم أكباد صوادي — ولا يخطرها بباله وإن خاصم أو حاكم ، فيجب أن يكون خصامه أو تحاكمه في الله وإلى الله ، وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ فقد كان يقول في دعاء الاستفتاح : (وبك خاصمت ، وإليك حاكمت) .

— وأن يتغاضى عن هفوات غيره ، ويتغافل عن زلاتهم . وإذا رأى من أحدهم هفوة ، أو أخذ عليه زلة توجب الأخذ بها ، أظهر أنه لم يلحظ منه شيئاً حتى لا يعرضه للوحشة والخجل ، ليعفيه من تحمل مشقة العذر .

حكي أبو عثمان الدقاق رحمه الله قال : إن امرأة أتت حاتما فسألته عن مسألة ، وفي أثناء وجودها خرج منها صوت ، فظهر الخجل عليها وبان في وجهها ، فلما رأى ذلك منها قال لها ارفعي صوتك ، ليوهمها أنه أصم لم يسمع ما تقول ، فسرت المرأة وسرى ذلك عنها وقالت إنه لم يسمع الصوت ، فلقبوه من ذلك الوقت بحاتم الأصم .

وحكي غيره أن رجلا بنى بامرأة ، فلما دخل بها رأى بها الجدري فقال ، اشتكيت عيني ، وتصنعت العمى ، وبعد عشرين سنة ماتت زوجه ولم تعلم أنه بصير ، فقيل له لم فعلت ذلك ؟ قال كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها ، فقيل له : سبقت الفتيان .

— وأن ينسى إيذاء الناس له ، ويجاهد نفسه في نسيان ماناله من الضرر وينظر إلى من ناله بأذى نظر الصديق المتسامح واسع الصدر كريم النفس ، إلى صديق له زل أو هفا ، حتى لا يستوحش الناس وينفروا منه . قال عمر بن عثمان : (الفتوة حسن الخلق) وقال الجنيد : (الفتوة كف الأذى وبذل الندى) .

ولا يبلغ درجة الفتيان ويدخل في زمرتهم من نسي إساءة الناس له وتغاضى عن هفواتهم ، إلا إذا نسي كذلك إحسانه إلى من أحسن إليه وأسدى إليه معروفاً حتى يعتقد أنه لم يحسن إليه ولم يصدر منه ما يستوجب الشكر ، لأن ما أحسن به هو

من عند الله. فالواجب أن يشكر هذا المحسن إليه لأنه جعله يشكر الله الذي وهبه هذه النعم وأفاض عليه من خيره وبره . وهذا النوع من النسيان أعظم درجة وأرفع منزلة من السابق ، وفيه قال بعضهم :

ينسى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

والمنزلة الثانية هي منزلة الإحسان إلى الغير ، وهي أعلى مرتبة من الأولى ، لأنها تلزم التحلي بها أن يقرب من أقصاه عن مجلسه وطرده من حضرته ، وأن يحسن إلى من أساء إليه ويكرم من أهانه ويعتذر إلى من اعتدى عليه ، ولا يتصف صاحب هذه الفعال بصفة الفتوة إلا إذا كانت فعاله هذه عن تواد وسماحة لا عن مصابرة وكظم ، ومن قوة وقدرة لا عن جبن وضعف ، وفضلوا هذه المنزلة على سابقتها ، لأنها تتضمن التغلب على عدوين ، النفس ومقابلة الشيء بضده ، فيكون خلق الفتى الإحسان والعفو ، وخلق غيره الإساءة والإيذاء ، وفي هذا قال قائلهم .

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

حكي أن رجلا من حجاج بيت الله ذهب لزيارة القبر الشريف ونام في المدينة ففقد مالا له ، فلما صحا من نومه فزع لضياعه ، ووجد جعفر[1] بن محمد قريباً منه فعلق به وقال له : أخذت مالي ! فقال : كم هو ؟ قال : ألف دينار . فأخذه جعفر حتى أدخله داره ووزن له قدر ماله . ثم إن الرجل عثر على ماله ، فعاد إلى جعفر يرد له المال ويعتذر عما صدر منه ، فأبى جعفر أن يقبله منه ، وقال : هذا شيء أخرجته من يدي لا أسترده أبداً . فسأل الرجل الناس : من هذا ؟ فأخبروه أنه جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال : إنه خير الفتيان . ثم قيل لجعفر : كيف تعتذر لمن جنى عليك ، وتحسن إلى من أساء إليك ، ولم يصدر منك ما يوجب الاعتذار . ألم يكن كافياً أنك لم تؤاخذه ؟ ألست باعتذارك إليه أنزلت نفسك منزلة الجاني لا المجني عليه ، والجاني خليق بالعذر . فقال لهم : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

فهو يعزو ما أصابه إلى ذنب صدر منه ، وأن هذا هو الانتقام الإلهي الذي يجب أن يناله كل مذنب . ومن كانت هذه حاله فهو بالاعتذار أولى وأحق إلى من جني عليه ، وشكره والإحسان إليه . فمن كانت هذه حاله مع من أساء إليه عفا عنه وأحسن إليه مع ضعفه وفقره وحاجته إلى سواه ، فبأعظم من هذا يكافئه الفتى الذي وسع ملكه السموات والأرض وشمل إحسانه المؤمن والكافر والطائع والعاصي ، فيعفو عن إساءته كما عفا عن إساءة عبده ، فالجزاء من جنس العمل .

وقال ابن عياض رحمه الله « الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان » وقال غيره « من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشم رائحة الفتوة » ومعنى هذا القول أن من أساء إليك ونالك ضرره ، إذا علم أنك متألم مما وقع منه ، احتاج إلى أن يتقدم إليك معتذراً ، أو يلجأ إلى شفيع يشفع له عندك ليزيل ما في قلبك من كدر ، ويغسل ما علق به من زعل . فالفتوة كل الفتوة أن لا تظهر له العتب . ولا تغير ما كان منك له قبل الذي صدر منه ، ولا تحول عنه وجهك حتى لا تحوجه إلى طلب الصفح والشفاعة ؛ وإن لم تفعل ذلك وتخجل من قيامه بين يديك مقام الذلة والاعتذار لم يكن لك من الفتوة أو في نصيب .

فالفتى الحق من تغاضى عن عثرة غيره ولم يأخذه بذنب أتاه أو جرم اقترفه ، بل يجب أن يكون معه سمحاً كريماً يعامله معاملة صادرة عن سماحة خلق وطيبة نفس وانشراح صدر ، لا عن ضيق وكظم غيظ ومصابرة ، لأن هذا يعتبر تكلفاً وتصنعاً يوشك أن يزول وتبدو الأخلاق واضحة ، وتظهر الصفات جلية فيفتضح أمره بين الناس ، فإن التخلق يأبى دونه الخلق .

والمقصود من هذا أن يصلح الفتى باطنه كما يجمل ظاهره ، وأن ينقي نفسه من الشوائب كما ينظف ثوبه من الأقذار . كان بعض أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه ، ما رأيته يحمل حقداً لأحد منهم قط ، وما سمعته يدعو على أحدهم ، بل كان يدعو لهم ويطلب لهم من الله العفو والغفران . ثم قال : جئته يوماً أبشره بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأكثرهم إيذاء له ، فنهرني وتنكر لي وأشاح عني واسترجع ، ثم قام من فوره إلى بيت الميت فعزى أهله وقال لهم : أنا لكم مكانه ، لا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة أو عون إلا ساعدتكم فيه وعاونتكم عليه ، ونحو هذا الكلام ، فسروا به ودعوا له وأعظموا هذا الحال منه . ولما سمع أحد المتصوفين بخبر هذه الواقعة قال : (خير الفتيان من كانت له في هذا أسوة وبه قدوة) .

(للكلام بقية)

عبد الموجود عبد الحافظ

(١) هو الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه .

أوراق مطوية:

عند ما يأتي الربيع!

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قلت لليأس الذى خيم فى قلبي العليل
فكساه وحشة الليـل ، وأحزان الأصيل :
أيهـــا اليأس تمهل ، يا ضباب المستحيل
وترفق بشبابي ، وتأهب للـــرحيل
وكفى أزهار عمرى ما عراها من ذبول
فتمطت ظلمة اليأس ، وقالت فى ذهول :
عند ما يأتي الربيع !

قلت للأحزان ... أحزاني ! وقد جاء الصباح
وتراءى الضوء نشوان على صـــدر الأقاح :
أنت يا أحزان فى قلبي دماء وجـــراح !
أنت فى عمرى دمـوع وأنين ونواح
فتى تمضين عن قلبي الحزين المستباح ؟
فأجابت فى سكون : سوف أمضى كالرياح
عند ما يأتي الربيع !

قلت للآمال إذ لاحت بآفاق الخيـــال
كعذارى عاريات ، أو كأطياف الجمال :
عانق قلبي ؛ فقد رانت على قلبي الظلال
عانق روحى ؛ فقد خيم فى روحى المـــلال
لا تكونى كسراب راقص فوق الرمال
فمضت ترقص من حولى : وقالت فى دلال :
عند ما يأتي الربيع !

قلت للأفراح ، والأفراح أزهار الحياه
أنت فى عمرى تسابيح ، وفى روحى صلاه
وأنا عمرى عباب قد تناءى شـــاطئاه
وأنا روحى شراع ضـــلل الموج خطاه
فتعالى إنمـــا قلبي غريق فى أساه
فأجابت وهى تنأى : ســوف آتى فى الغداه
عند ما يأتي الربيع !

وتحـــدثت إلى نفسى ، وقد جاء المســـاء
قلت : يا نفسى غـداً تمضى كآبات الشتاء
وغـداً يأتى الربيع السمح نشوان الضياء
ويرف الزهر فى عمـــرى ، ويشدو بالغناء
فإذا صوت عميق شـــق أجواز الفضاء
لست أدرى كيف وافى ، لا ، ولا من أين جاء
قال : يا شاعر يا مستاها روح الخفاء
يا صدى الآلام فى الدنيا ، ويا رجم الشقاء
إنمـــا تحيا على الدنيا حياة الشهداء
لا تؤمل فى سراب هو من وهم الظماء
كل ما قيل خداع ، فاستمع صوت القضاء :
لن يغيب اليأس والحزن ، ولن تلقى الرجاء
عند ما يأتي الربيع !

من جحيم الواقع :

البدر العـــــاشق

للشيخ محمد رجب البيومى

« قصـة عاشقين فرقت بينهما عوامل البيئة ، وقسوة المجتمع ، ونـكد الطالع »

أبصر البـدرُ سناها يتراءى فغـدا بالشمس صبًّا مستهاما
عاشق ألقى الهوى فى نفســه ذلة أعرفها عنـــد اليتامى
جن بالشمس ومن هذا الذى لمح الشمس ولم يفتن هياما
ذو حياء لم يشاهد مثـــله عند خود تلزم الخدر احتشاما
يتوارى إن بدت مستخذيا فإذا ما أدبرت ألـقى اللثاما
كم خطا بين الثريا ساهما كمريض يشتـكى داء عُقاما
زحل يبكى له من رحمة وسهيل يطلق الدمع سجاما
عجبي للبـدر ، أمسى وجهه شاحب الطلعة لا يمحو الظلاما
نظرة يا ويلها من نظرة ذاق من جرائها الموت الزؤاما

كم شكا للشمس ما قد شفه … من سقام ، قاتل الله السقاما
وانبرى يسألها فى ذلة … كيف ترضين لمثلى أن يضاما
تاه ظنى فيك يا شمس الضحى … أدلالاً غبت عنىّ أم خصاما
زهرتى أودى بها لفح النوى … فإلامَ الهجر يا شمس إلاما ؟
آه لو تدرين نجوى مهجة … ترك البعد بقاياها حطاما
كبدى تصرخ من أعماقها … إذ مضى العمر ولم تطفِ أواما
أى عيب ضائر تخشينه … لو تفضلت بإتيانى لماما
أحسد الزهر إذا طفت به … ساجى الطرف فداعبت الكماما
أحسد اليمّ وقد غطيته … بسناً كان على الماء وساما
مرت فى الأرض فأضحى وجهها … كثنايا الغيد نوراً وابتساما
كل ما فى الكون لاقى حظه … منك لكن أنا لم أبلغ مراما
لى رجاء فيك إن خيبته … حبذا بعدك أن ألقى الحماما

* * *

قالت الشمس له فى رعدة … قدك ، قد أشعلت فى قلبى الضراما
صير الحب كيانى هدفا … يتلقى طيلة العمر السهاما
أرسل الزفرة حرا لافحا … كجحيم موقد يشوى الأناما
أنظر الأفق إذا ولى الدجى … أترى للجمر فى صدرى اضطراما
أنظر الأفق إذا حان الدجى … شفقاً تلقى عليه أم كلاما
قلب الطرف أصيلا كى ترى … لاصفرار الوجد فى وجهى ارتساما
مقلتى لاذقت يوماً دمعها … حرم الشوق عليها أن تناما
أنظر الغيث تجده أدمعا … فارقتها لم تطق فيها مقاما
هـأنا الأخرى تفانيت أسى … فعلام العتب يا بدر علاما ؟
أنت فى الأفق مكين ثابت … وأنا أحبو على الأرض دواما
حولك الأنجم فى أفلاكها … تتفانى فيك حبا واحتراما
كيف ترجو زورة منى إذن … أيزور البدر من يغشى الرغاما
هالك عرف الناس ، من لم يرضه … تركوا أعظمه فيهم رماما
كلما أرقب وصلا قيل لى … جعل الرحمن لقيانا حراما
ما صنيعى فى إله قادر … صير اليأس لقلبينا لزاما
ليته إذ مد أحبال النوى … صير الأشواق برداً وسلاما

* * *

هذه قصة حب ثائر … كشف الشعر لنا عنها اللثاما
أنت أنت الشمس ما أحظى بها … رغم وجدى وأنا البدر تماما

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين في المغرب :

نشرت الصحف أخيراً أن الدكتور طه حسين بك سيسافر من فرنسا إلى إسبانيا تلبية لدعوة إلى إلقاء محاضرات بجامعاتها . وقد علمت أن الدكتور بعد أن يفرغ من مهمته في إسبانيا سيسافر منها إلى شمال إفريقية لإلقاء محاضرات ببعض المعاهد المغربية .

ولا شك أنك ستدهش لذلك كما دهشت أنا له ... فبلاد المغرب التي يحكمها الفرنسيون ، والتي سيتجه إليها الدكتور طه حسين بطبيعة الحال — تمد مغلقة أمام الثقافة العربية المشرقية الحديثة ، فلا يكاد يدخلها من مصر وما يليها من الأقطار العربية صحيفة ولا كتاب ! فكيف يدخلها طه حسين ويحاضر فيها وهو في الصف الأول من منتجي هذه الثقافة ؟ ولكن ما ذا أصنع وقد استقيت الخبر من مصدر عليم أثق به ، كما يقول زملاؤنا الصحفيون ، ولم يلقه إليّ إلقاء ، بل أوضح كيف وصل إلى علمه إيضاحاً يبعث على التصديق .

ثم قرأت في العدد الأخير من مجلة « الإثنين » ما يلي :

« قال لنا أحد الحجاج المغاربة الذين مروا بمصر في طريقهم إلى الحجاز : إن الكتاب المصري أصبحت له سوق سوداء في شمال أفريقيا لندرة الحصول عليه ، وإن هناك مجاعة ذهنية بسبب خلو المكتبات من آثار مصر الفكرية » .

قرأت هذا فازدادت دهشتي من السماح للدكتورطه بدخول تلك البلاد ، وخطر لي خاطر استبعدته ، لأنه لا يمكن أن يعاهد على التحدث عن الثقافة الفرنسية دون العربية !

إنها لمعجزة حقاً أن ينجح الدكتورطه حسين في «تهريب» الثقافة العربية إلى مناطق النفوذ الفرنسي في شمال إفريقية ...

كرسي شوقي أيضاً :

أفضى الأستاذ مصطفى عامر بك وكيل جامعة فؤاد الأول إلى مجلة « البشير » بتصريح في مسألة كرسي شوقي ، فقال : « يسر الجامعة ملء هذا الكرسي بدون توان ، وإنما الذي لا بد منه هو اختيار الشخص الذي يتذوق الأدب الحديث عامة ، المتشبع بشعر شوقي وروح شوقي وفلسفة شوقي خاصة ، حتى يتمكن من ملء الكرسي وإعطاء شوقي حقه ومكانه من أدباء العصر الحديث . وإذا تيسر الحصول على هذا الشخص ، فكلية الآداب لا تتردد في اختياره » . إلى أن قال : « أولى بنا أن نترك الكرسي شاغراً حتى يتيسر لنا الشخص المطلوب » . ولم يتعرض لنقطة اختيار الأستاذ من الجامعة أو من خارجها .

ويفهم من تصريحه نصاً أن الجامعة لم تقع عينها إلى الآن على شخص يصلح لهذه الأستاذية ، ولكن هل يفهم منه — عن طريق الاستنتاج — أن الجامعة لا تجد في أساتذتها — وهم تحت عينها — من يصلح ؟ أما غير أساتذتها من الأدباء ، فهل بحثت عمن يصلح منهم ؟ على أن هذا السؤال يجب أن يسبقه إقرار المبدأ وهو الاستعانة بأساتذة من خارج الجامعة .

والسؤال الأخير : هل صحيح أنه لا يوجد — في الجامعة أو في غيرها — من يتذوق الأدب الحديث ويلم بدقائق شوقي ؟

وما كان يصح أن يتكون هذا السؤال لولا تلك المقدمات ، فليس شوقي وشعره معضلة إلى هذا الحد !

اجتماع بجوار « كشك الموسيقى » :

شاء صديقي الأستاذ وديع فلسطين أن يفرّع الحديث في موضوع اختيار الجامعة أساتذتها ، فأرسل الكلام في شعب هذا الموضوع ، دائراً حول المحور الذي يظهر من قوله : « إن الحياة كثيراً ما تكون أقدر على إعداد المرء ثقافياً وعلمياً من الجامعة . وقد اعترف جورج برنارد شو بأنه لم يدخل جامعة ولا معهداً عالياً ، وأنه كان خامل الذكر في دراسته الابتدائية » .

وأذكر — لهذا — ما رأيته بعدد من جريدة « المؤيد » يقع تاريخه قبيل سنة ١٩٠٨ ، فقد كنت أتصفح أعدادها منذ سنوات بدار الكتب المصرية ، فلمحت هذا التوقيع عباس

محمود العقاد » تحت أسطر تتضمن دعوة الراسبين فى الشهادة الابتدائية إلى الاجتماع بجوار « كشك الموسيقى » بحديقة الأزبكية ... ولعل التلميذ عباس محمود العقاد كان يريد بهذا الاجتماع أن يتزعم زملاءه للمطالبة بعقد امتحان « ملحق » لهم، وقد يكون الأمر غير ذلك. ولكن المعروف فى تاريخ الأستاذ الكبير أنه لم يستمر فى دراسة مدرسية بعد التعليم الابتدائى، لحسن حظه! فقد كسب بذلك وقتاً طويلا من عمره كان يضيع فى تعلم ما لا يريد ولا يفيد، فاستغل وقته ووجه همه إلى ما أراد.

وهو يعبر عن ذلك فى مقال بالعدد الأخير من مجلة الهلال بقوله: « ومما أحمد الله عليه أن أساتذتى جميعاً قد اخترتهم بنفسى، ولم يفرضهم على أحد يملك سلطة التعيين والفصل دون غيره، لأنهم كانوا جميعاً مؤلفين مشهوداً لهم برسوخ القدم فى صناعة التأليف أقرأ منهم من أشاء وأعرض عمن أشاء، وأطلبهم حين أريد وحيث أريد ».

وقد بلغ العقاد فى الأدب والفكر ما بلغ، ولست أقول كما قال الأستاذ وديع إنه يكفى أن يقدم كتاباً من كتبه — بغير اختيار — إلى الجامعة لينال عليه درجة الدكتوراه. ولا أذهب إلى ما ذهب إليه من المطالبة بالدكتوراه لرواد الحركة الفكرية الحديثة فى مصر. فالدكتوراه لا تزيدهم شيئاً، إلا أن يكون المطلوب مساواتهم بعشرات الدكاترة من الخريجين العاديين.

إنما تمنح الشهادة أو الدرجة الجامعية لتدل على قيمة صاحبها العلمية أو الفنية، فإذا ما ظهرت هذه القيمة وأصبحت معروفة بين الناس فما الحاجة إلى الدليل عليها؟

مؤسسة الثقافة الشعبية:

تلقينا من مؤسسة الثقافة الشعبية التى كان اسمها الجامعة الشعبية، بياناً ضمنته خلاصة ما قامت به منذ إنشائها سنة ١٩٤٦، جاء فيه أن من أغراض المؤسسة « تنظيم دراسات عقلية وفنية لتكوين الشخصية، وترقية الملكات، ورفع المستوى الثقافى، والعمل على نشر الثقافة العامة بين طبقات الشعب على أساس من الرغبة الشخصية دون اشتراط مؤهلات معينة ».

ويبدو أن الكبار أحسن من الصغار حظاً بهذه المؤسسة، ففى هذا الوقت الذى يواجه فيه الآباء مشقات إلحاق أبنائهم بالمدارس، الناجمة من عدم وجود محل، أو عدم توافر الشروط، أو العجز عن أداء « المصروفات » وما يصحب ذلك فى الغالب من الوساطات والشفاعات — فى هذا الوقت يستطيع الكبير الذى لا تقل سنه عن ١٦ سنة، والذى أتقن القراءة والكتابة، وقد حرم من التزود بما يميل إليه من ألوان الثقافة وأنواع الفنون أن يستدرك ما فاته ويحقق رغباته فى وقت فراغه، لا يتكلف غير رسم زهيد مائتى مليم فى السنة.

وبالمؤسسة عشر شعب، نذكر منها شعبة الدراسات الأدبية، وشعبة الدراسات الاجتماعية، وشعبة الفنون الجميلة وتشمل الرسم والتصوير والزخرفة والموسيقى والأغانى والتمثيل، وقد أنشىء للعام القادم شعبة اللغات الحية. وللمؤسسة فروع فى الأقاليم يشمل كل فرع منها جميع الشعب، وقد بلغ عدد الطلاب فى العام الماضى بالقاهرة والأقاليم ١٠٥٠٤ منهم ٤٨٢٨ سيدات وآنسات أكثرهن فى شعب الثقافة النسوية.

نظرة فى منهج الشعبة الأدبية:

وفى زيارتى المركز العام للمؤسسة أطلعنى سكرتيرها الأستاذ محمود الغزاوى على منهج الشعبة الأدبية، وأذكر أولا ما جاء فى آخر هذا المنهج من أن هدفها هو « أن تجعل من طالبها إنساناً متذوقاً للجمال الأدبى، وقارئاً يقرأ عن فطنة ويدرك عن وعى، وكاتباً يحسن التعبير عما فى نفسه، ومتحدثاً يزن الكلام إذا نطق، وأن تقضى على العامية اللغوية والفكرية وأن تحبب الشعب فى القراءة المجدية التى هى أهم وسائل المعرفة، وأن تساهم فى الإعلاء من قدر الأدب الرفيع ومحاربة الأدب المزيل الرخيص ».

وهذا كلام طيب، وهو الهدف الذى يجب أن يرمى إليه. ولكن هل المنهج المرسوم يؤدى إليه؟ يحتوى المنهج إجمالا على: تعريف وتحليل للكتاب العربى، تراجم وتحليل للشخصيات الأدبية، دراسة علمية للأسلوب مع التفرقة بين الأساليب المختلفة، تحليل وعرض لنصوص من جيد النثر على أن تكون تطبيقاً على ما فى الدروس العلمية.

وأنا أعتقد أن دراسة هذه الموضوعات لا تسير فى الطريق إلى تحقيق ذلك الهدف ، بل إنها تصد الناشىء فى الأدب عنه ، وكان يمد الموضوع الأخير ، وهو عرض النصوص ، من الاتجاه الصحيح ، لولا ما أفسده من أن المقصود به أن يكون تطبيقاً على الدروس العلمية .

إن هذه الموضوعات تدرس فى المدارس الثانوية وما يماثلها ، وتسخر أذهان الطلاب فى حفظ التعريفات وإحصاء الخصائص والفروق والصفات ، وليس وراء شىء من ذلك أى طائل ، فمثلا يحفظ الطالب فى السنة الثانية سبب تأليف أبى الفرج كتاب الأغانى ويحفظ وصف الطريقة التى اتبعها فى تأليفه وغير ذلك ، ولكن ليس فى ذهنه فكرة واضحة عن الكتاب ، ولو رآه ما عرف أنه المقصود بذلك الدرس الذى حفظه ...

يخيل إلى أن الذين يضعون هذه المناهج إنما يريدون أن يدلوا على علو كعبهم فى فنون الدراسات الأدبية ، كما تدل على علو كعبهم أيضاً تلك الكتب المدرسية التى يؤلفونها وفق هذه المناهج ، ولكنك إذا نظرت إلى هذا كله من جهة أخرى هى تعريفهم أنفسهم للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وتأملت الفرق الكبير بين حال الطلبة الناشئين وبين أسلوب هذه المؤلفات ومستوى تلك المناهج ، علمت ما فى عملهم هذا من مجانبة للبلاغة ودلالة على ضد « علو كعبهم » فيها ..

كنت وما زلت أود أن تخرج المؤسسة الشعبية على تلك المناهج الرسمية الجامدة ، فتقدم لطلابها الأدب نفسه خالصاً من تلك الدراسات ، تعرض نماذج سهلة منه وتيسر لهم قراءة الكتب الدانية من أفهامهم ، مع شرح من الأساتذة ، وتحليل طفيف يقصد منه إلى الإساغة والتذوق ، لا إلى معرفة الخصائص والاصطلاحات العلمية والبحث عن أسباب الصعود والهبوط فى (بورصة) الأدب !

إن الذين يطلبون الأدب فى مؤسسة الثقافة الشعبية ينبغى أن يكون أهم ما يقدم لهم رحيق الآداب المصفى ، لأنه هو الذى يستجيب لميولهم التى دفعتهم إلى طلبه ، وهو الذى يلائم شهيتهم البادئة . وهم بعد أحرار فى إقبالهم وإعراضهم ، لا تملك المؤسسة من أمرهم كما تملك المدارس من أمر تلاميذها . . وأخشى إن دأبت على هذا المنهج أن تضطر إلى إلغاء الشعبة الأدبية بعد أن بعد أن تدل « التجربة » على عدم نجاح الدراسة فيها ..

عزيزتى السيدة بديعة مصابنى :

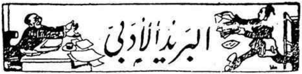
قرأت فى إحدى الصحف أنك تفكرين فى إحضار فرقة « باليه » راقصة من باريس للعمل فى مسرح (كازينو أوبرا) فى الشتاء القادم . فسررت لهذا الخبر ، ولا يسعنى إلا أن أشكرك بالنيابة عن الحكومة المصرية وعن دار الأوبرا الملكية لأن استقدامك فرقة الباليه من شأنه أن يعفى الدولة من الجهود والأموال التى تبذلها لاستقدام هذه الفرقة وأمثالها ، من شأن عملك هذا يا سيدتى أن يعفى مدير الأوبرا من الترحال والأسفار والتنقل بين البلدان الأوربية للبحث عن هذه الفرق والتعاقد معها ، ومن شأن هذا العمل الجليل أيضاً أن يعفى خزانة الأمة المسكينة من تلك الأموال التى تدفعها إلى تلك الفرق والتى ينفقها المدير فى رحلاته .

ومما يضاعف الشكر لك « يا ست بديعة » أن تكونى قد أردت معاونة الدولة فى أعبائها الكثيرة المرهقة ، إذ رأيتها تعمل جاهدة على استكمال ما ينقص هذا الشعب المسكين فتجلب الفرق الراقصة لعلاج أمراضه ومحاربة أعدائه الثلاثة المشهورة المعروفة بالفقر والجهل والمرض !

ورأيت من جهة ثانية أن الدولة مرهقة بأعباء أخرى جدية . . . كتدبير الخطط السياسية الخارجية وإيفاد الوفود إلى الهيئات الدولية ، فأردت — مشكورة — أن تقولى لها : خل عنك عبء الترفيه عن ذوى الهموم الترفة ! وتفرغى لغيره مما يليق بك ..

وسواء أصح ذلك الخبر أم كان من خيال زميل بارع ، فهو على كل حال يلقى ضوءاً على جهة الاختصاص فيتبين « بارى القوس » ليعطاها . . . وهو أيضاً فرصة طيبة لأكتب لك هذا وأحييك تحية فائقة ..

عباس خضر



إصطلاحات فنية :

في افتتاحية الرسالة (ع ٧٩٥) ، عبر الأستاذ الجليل الزيات عن ال hiérarchie بـ (اليبرشية) ؛ ولقد كنا نؤثر لو أن الأستاذ الكبير اصطفى لفظ « الرئاسية » ترجمة لهذا الاصطلاح الفني ، متمشياً في ذلك مع فقهاء القانون المصريين الأعلام . . وفي اعتقادنا أنه لفظ مناسب تماماً لمفهوم ال hiérarchie الذي أجمله الأستاذ في هذه الكلمات : « النظام الإداري الذي يقضي بتدرج المناصب في العمال والأعمال والتبعات ، فيبدأ الأمر بالأصغر فالصغير ، ثم ينتهي إلى الكبير فالأكبر » .

ولقد يكون من المفيد — في هذا المجال — أن نشير إلى أن هذه « الرئاسية » هي أسلوب النظام الإداري الموسوم بالمركزية (centralisation) ، وهو نظام بمقتضاه تنعقد السلطة الإدارية بيد الحكومة المركزية ، بينما لا يصير لما عداها من الهيئات والشخوص المعنوية الإقليمية أو المصلحية ، سلطة جوهرية محسوسة الأثر بالقياس إلى سلطانها الواسع الكبير .

وعلى العكس من ذلك نظام « اللامركزية » (décentralisation) ، الذي يتضمن اقتطاع (بعض) من هذه السلطة المركزية الكبيرة ، للهيئات المحلية المنتخبة ، التي تقوم مستقلة — بداءة ، وفي حدود رقابة خاصة — بمباشرة وظيفتها الإدارية الإقليمية أو المصلحية .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر — كما يقولون — فقد يجمل بنا التنبيه إلى « لَبْس » تقع فيه الصحف هذه الأيام ، حين تعبر عن النظام الإداري القائم الآن بوزارة المعارف المصرية — وأعني به « اللاوزارية » (déconcentration) بـ « اللامركزية » (décentralisation) .

وهو « لبْس » أدى إليه الاعتقاد — خطأ — بأن ترك المراقبين والمفتشين ونظار المدارس ومن إليهم من الرؤساء الإداريين بالأقاليم ، يبتون نهائياً — في بعض أحوال خاصة — في شئون وظيفتهم الإدارية ، دون الرجوع في ذلك إلى مكاتب وزارتهم القائمة بالعاصمة ... يعني أن الأسلوب المختار في الإدارة في وزارة المعارف المصرية هو الأسلوب اللامركزي

وقد فات هذه الصحف ، أن الشرط الأساسي والجوهري لقيام « اللامركزية » ، هو أن تستمد الهيئات الإقليمية سلطانها المحلية من طريق الانتخاب لا التعيين ، وأن يكون الانتخاب — غالباً على الأقل — في تكوين هذه الهيئات[1] . فأين هذا من النظام القائم الآن في هذه الوزارة ، والذي لا يعدو أن يكون « صورة مخففة » من المركزية المطلقة (الوزارية concentration) ، يطلق عليها — أي على هذه الصورة المخففة — في الاصطلاح الفني لفظ : (اللاوزارية déconcentation) .

وهكذا يتضح من هذا البيان أن النظام المعمول به اليوم في وزارة المعارف المصرية ، هو نظام مركزي في صورة مخففة (لا وزارية) ؛ وعلى ذلك ... فمن الخطأ — فنياً — إدماجه في دائرة اللامركزية .

عبد العزيز الكرداني

(الرسالة) آثرنا كلمة اليبرشية كما آثر من قبلنا كلمات الديمقراطية والأرستقراطية والبيروقراطية الخ .. لأن كلمة الرياسة وأشباهها لا تؤدي المعنى الكامل الرقيق للفظ الأجنبي إلا بقوة الوضع وكثرة الاستعمال وطول الزمن

يدعو إلي الإسلام :

ورد لي خطاب عن يد مجلة الرسالة من الأديب أحمد عادل يثني فيه عليّ لما أكتبه في الرسالة عن الصهيونية وفلسطين ثم يدعوني إلى الإسلام ، فأشكر له هذه الدعوة لأنه طبعاً يريد بها لي الخير . ولكنني عجبت من أنه يختصني بهذه الدعوة ، وفي البشر نحو ١٥٠٠ مليون نسمة ليسوا مسلمين فهم أيضاً خليقون بدعوته . فهل يظنني حضرته ملحداً أو وثنياً ؟ لا . يا عزيزي . إن لي ديناً لا يقل عن الإسلام في فضائله . دع ما يلابسه في بعض الأحوال والأزمان من ترهات رجاله ، كما يلابس كثيراً من عقائد البشر . في أمريكا طائفة نصرانية يقال لذويها « الموحدون » فهي تنبذ من المسيحية كل ما هو غير معقول كالتثليث والمعمودية الخ ويعتنقها جلة أهل العلم والفضل وتتمسك بتعاليم المسيح التي

(١) راجع في هذا بتوسع رسالة الدكتور عثمان خليل « اللامركزية ونظام مجالس المديريات » — القاهرة — ١٩٣٩ ، وكتابه الجديد في القانون الإداري .

تصلح لكل ملة من ملل العالم كقوله : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى من أساء إليكم . اغفروا للمذنبين إليكم الخ ربما قابلها في القرآن الشريف ما في سورة « فصّلت » .

فأنا إلى حد ما ، من هذه الطائفة . وقد نُجمت عقيدتي في مطلع قصيدة للشيخ نصيف البازجي في كتابه مجمع البحرين :

الحمــد لله الصمد ... حال السرور والكمد
اللهُ لا إلهَ إلاّ ... الله مولاك الأحد
لا أمّ للــه ولا ... والدٌ له ولا ولد
أوّل كلّ أوّل ... أصل الأصول والعمد
الحوْل والطوْل له ... لا درع إلا ما سرد

إلى آخرها وكلها من هذا الطراز العاطل (لا نقط في حروفه)

والأستاذ أحمد عادل بارك الله فيه يخشى علي قراءة القرآن الكريم . فليعلم أن عندي مصحفين . وقد قرأت القرآن كله وقرأت بعض سوره مراراً . وأومن بكل فضائله ومحامده ، ولكنني لا أرى لماذا أنادي باعتناق الإسلام ولي من العقيدة الدينية العالمة ما أعني أن يكون للملايين غيري حتى لجانب من المسلمين أنفسهم . وربما كنت أقرب إلى الإسلام من كثيرين من المسلمين . فليطمئن أخونا أحمد أني لست بعيداً عنه لا كثيراً ولا قليلا . اللهم إذا كان اعتقاده نظيفاً من الخرافات والترهات

بقيت بعض نقط أخرى في كتابه لا محل لها في الرسالة فإذا أنبأني بعنوانه كاتبته بها .

نقولا الحداد

حول حب الرافعي :

قرأت في العدد من « الرسالة » كلمة بسط قائلها فيها رأيي الأستاذين حسنين مخلوف وكامل محمود حبيب في حب الرافعي .

والرأيان يرميان إلى أن حب الرافعي لم يكن صادقاً — كما قال صاحب الكلمة — وليس في هذين الرأيين جديد ، فقد قرأنا من قبل رأي تلميذ من تلاميذ الرافعي لعله أقربهم إليه وهو الأستاذ محمد سعيد العريان ، وقد أورد رأيه هذا في كتابه عن الرافعي فقال : « إن الحب عند الناس هو حيلة الحياة لإيجاد النوع . ولكنه عند الرافعي هو حيلة النفس إلى السمو والإشراق والوصول إلى الشاطئ المجهول .. هو مادة الشعر وجلاء الخاطر وصقال النفس وينبوع الرحمة وأداة البيان .. كذلك كان الحب عند الرافعي ، ولذلك كان يحب » ..

ويقول بعد هذا بقليل . « وبلغ الرافعي (بعصفورة) إلى غايته واشتهر شاعر الحسن » وترنم العشاق بشعره وما بلغت عصفورة إلى غايتها ، ثم مضى كل منهما إلى طريق ، وأتم الرافعي طبع ديوانه ، وكما ينتهي الحب الذي هو حيلة الحياة لإيجاد النوع إلى الزواج أو إلى الغاية الأخرى ، ثم يبدأ في تاريخ جديد ، كذلك انتهى حب الرافعي وعصفورة وأنجب ثمرته الشعرية ، ثم كان تاريخ جديد ..

وعلى مثال هذا الحب كم كانت له حبيبات ، وكم أنجبت ثمرات ، وإنه ليخيل إلي أن الرافعي كان كلما أحس حاجة إلى الحب راح يفتش عن « واحدة » يقول لها : تعاليْ نتحاب لأن في نفسي شعراً أود أن أنظمه أو رسالة في الحب أريد أن أكتبها !

ولقد سمعته مرة يقول لإحداهن . . . وسمعت إحداهن مرة تقول له : متى أراني في مجلسك مرة لتكتب عني رسالة في « ورقة ورد » ؟

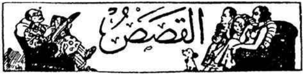
ويتضح من هذا أن الرافعي — رحمه الله — كان يبحث عن الشعر والفن في الحب ، فالحب عنده وسيلة إلى تصوير عواطفه ، وتسجيل خواطره ، فلم يكن الرافعي يبحث عن الحب نفسه ، وإنما لغاية فيه .

على أن هذا لا يمنع أن يكون الرافعي قد أحب حباً صادقاً إحدى هؤلاء اللائي كتب عنهن ، فلا نحكم حينئذ جملة بأن حب الرافعي كان مصنوعاً كله . ويؤيد هذا كلة قالها الأستاذ العريان في (حياة الرافعي) : « . . . وسعى إلى الحب أول ما سعى على رجليه ، منطلقاً بإرادته ليبحث في الحب عن ينبوع الشعر ، فلما بلغ أغلق الباب دونه ، فظل يرسف في أغلاله سنين لا يستطيع الفكاك من أسر الحب » ..

وإذن فقد أحب الرافعي ، وظل يرسف في أغلال الحب سنين طويلة .. فلا يمكن بعد هذا أن يقال إن كل ما كتبه الرافعي في فلسفة الحب والجمال شعراً أم نثراً غير صادر عن عاطفة صادقة وحب خالص .

ولا حاجة بنا أيضاً إلى سؤال تلاميذ الرافعي أو غيرهم عن توفر (الصدق الفني) فيما كتب أم عدم توفره .

حسن صادق حميدان



الأنمـــوذج

للكاتب الفرنسى جى دى موباسان

ترجمة الأديب محمد فتحى عبد الوهاب

كانت بلدة (أترات) الهلالية الشكل ذات الجرف الأبيض ، والبحر الأزرق والرمل الذهبى ، تنام فى هدوء تحت شمس شهر يوليو المشرقة ، وقد برز على طرف الهلال قوسان من الصخور مدليان على الماء الساكن ، أصغرها واقع إلى الشمال كأنه قدم قزم ، وأكبرهما إلى الجنوب كأنه ساق عملاق .

واحتشد الناس على طول الساحل راقدين على الرمل يتأملون المستحمين ، وازدحمت شرفة (الكازينو) بالقاعدين أو السائرين المتنزهين ، فبدت ملابس السيدات المزركشة ومظلاتهن الحريرية الموشاة كأنها حقل منسق الزهور . وابتعد البعض عند آخر الشرفة يتجول هنا وهناك ويتمتع بالطقس الهادىء اللطيف بعيداً عن ثرثرة البعض الآخر .

ومشى جان سمر الرسام الشاب المعروف بجانب مقعد متحرك يدفعه الخادم ، جلست عليه زوجه القعدة تحدق فى حزن إلى صفاء السماء تارة ، وإلى الحشد المبتهج الجالس تحت الشمس الزاهية تارة أخرى . كانا صامتين لا ينظر أحدهما إلى الآخر .

وأخيراً قالت السيدة إلى زوجها — دعنا نقف هنا لحظة .

فوقف وجلس الرسام على مقعد صغير استحضره له الخادم .

كان كل من مر عليهما وراءهما صامتين ينظر إليهما نظرة أشفاق .

كانوا يعرفون قصة غرامهما ، تلك التى أصبحت أسطورة البلدة .

لقد عقد عليها الرسام على الرغم من عاهتها .

وجلس على مسافة غير بعيدة منهما رجلان يتحدثان ويتطلعان إلى البحر ، وتابع أحدهما حديثه قائلاً كلا ، هذا غير صحيح . إنى أعرف جان سمر جيداً .

— إذاً لماذا تزوجها ؟ لقد كانت مقعدة عندما عقد عليها أليس كذلك ؟

— أجل ، إنها الحقيقة . لقد تزوجها ... حسناً ... تزوجها كأى رجل تزوج ، لأنه كان مجنوناً .

— ولكن لابد وأن هناك سبباً آخر .

— سبب آخر يا صديقى ؟ ! لا يوجد هناك سبب آخر . إن الرجل مجنون لأنه مجنون . أنت تعرف أن الرسامين مشهورون بالغريب من الزواج . إنهم غالباً ما يتزوجون الفتيات اللاتى يرسمونهن ، وقد كن قبل الزواج خليلات لغيرهم من الرجال . أنهن سلع قديمة بمعنى الكلمة !

لماذا يتزوجونهن ؟ سؤال لا يستطيع أحد أن يجيب عليه إجابة شافية . وقد يظن المرء أن الاختلاط الدائم بهن يجعلهم يعافون مثل هـذا النوع من النساء . ولكنه ظن غير صحيح . فانهم بعد أن يرسمونهن يتزوجونهن . حبـذا لو قرأت كتاب «زوجات الفنانين» لألفونس دوديه إنه كتاب ثمين واقعى قاسى النقد إن زواج هذين الاثنين قد حدث بطريقة محزنة غير مألوفة .

وفى الحق ، لقد مثلت الفتاة مهزلة أو قل مأساة ، وقامرت بكل شىء فى ضربة واحدة . هل كانت تحب جان ؟ لا يستطيع أحد أن يتكهن بذلك فى مثل هذه الحالات . من ذا الذى يستطيع أن يتحدث عن مقدار عنصر القسوة ، ومدى عنصر الاخلاص اللذين يدخلان فى أعمـال المرأة ؟ إنهن دائماً لغز لا يستطيع الرجل حله . فنحن طالما نسأل أنفسنا . هل هن مخلصات ، أم هن يمثلن علينا دوراً ؟ يا رفيق العزيز ، إنهن مخلصات وغير مخلصات لأن ذلك جزء من طبيعتهن . فكر فى الوسائل التى يتخذها أمهرهن للحصول على كل ما يرغبنه منا . أنها وسائل معقدة وبسيطة فى آن واحد . معقدة حتى أننا لا نستطيع أن نستنتجها ، وبسيطة لأننا بعد ما نقع فى الشرك لا نملك إلا أن نتعجب دهشة ونسأل أنفسنا « حسناً ... هـل هن حقيقة خدعننا بمثل هذه السهولة ؟ وهن دائماً يسلكن الطريق الذى رسمنه لأنفسهن . خصوصاً عند ما يرغبن فى الزواج . على أية حال إليك قصة سمر .

« كانت الفتاة انموذجاً عنده . وكانت حسناء ساحرة ذات جمال فتان . ووقع الرسام فى شراك حبها كأى رجل يقع فى حب فتاة جذابة كثيرة التردد عليه . وخيل إليه أنه يحبها حقيقة . إن تلك ظاهرة عجيبة . فإنه حالما يرغب رجل فى امرأة يقتنع فى قرارة نفسه اقتناعاً تاماً أنه لا يستطيع من بعدها عيشاً .

ولكن الرسام كان يدرك تمام الادراك أن ما حدث قد حدث له من قبل ، وأنه عندما تشبع الرغبة يعقبها التقزز . وكان يعرف أنه لكي يقضى سنى حياته مع مخلوق بشرى آخر ، فانها ليست العاطفة الحيوانية البدائية الزائلة هى ما يحتاج إليه ، وإنما التشابه الروحى والتآلف فى الشعور والطباع ، وأنه يجب عليه أن يكون قادراً على التمييز — وسط الجاذبية التى تؤثر عليه — فيما إذا كان ذلك الانجذاب نتيجة عوامل طبيعية محضة ، أو هو نوع من الخيال ، أو نتيجة اتحاد روحى متين .

ومع ذلك فقد ظن الرسام أنه يحبها ، وتعهد مئات المرات وأقسم على الاخلاص لها وألا ينظر إلى امرأة غيرها وكانت فى الحق رشيقة ؛ رشاقة فتيات باريس . وكانت تثرثر وتتحدث بعبارات جنونية فى صور مسلية . وتوحى إليه بحركات جذابة ؛ وتقف أمامه وقفات فاتنة تسر كل فنان .

ولم يدرك جان مدة ثلاثة أشهر بأنها فى قرارة نفسها لا تختلف عن أية فتاة أخرى من طرازها . بل استأجر لها داراً فى (أندرس) لقضاء فصل الصيف . وكنت هناك ذات مساء عندما ابتدأت أولى الشكوك تفرض نفسها فرضاً على نفس صديق . كانت ليلة بديعة ، فقررنا التنزه على ضفة النهر . وكان القمر يرقص على صفحة الماء المتألق ، فتتلألأ صورته بتأثير تيار الماء الجارى .

كنا نسير على طول الضفة ، وقد تملكنا شعور مبهم من السعادة ، تلك السعادة التى كثيراً ما تغمرنا فى مثل ذلك المساء الكامل . وشعرنا بأننا نستعرض منظراً ساحراً ، وبأننا وقعنا فى حب سماوى مع ما صورته لنا مخيلتنا الشاعرية . كنا ندرك فى عجب هذه الأحاسيس الغريبة المثيرة . وسرنا صامتين متأثرين من هذا الهدوء وبهجة هذه الليلة . وظهر القمر كأن ضوءه يخترق ذاتنا ؛ يخترق الجسد فيغرق الروح فى حمام شذى من الرضا . وفجأة انفلتت من جوزفين — وكان هذا اسم الفتاة — صيحة وهى تقول — هل رأيت السمكة الكبيرة وهى تقفز هناك ؟

فأجاب الرسام دون أن ينظر إليها أو يعى كلماتها — نعم يا عزيزتى .

ففقدت هدوءها وقالت : كلا إنك لم ترها ؛ فأنت تستديرها

فابتسم وقال : إنك على حق . إن المساء من الجمال حتى لا أستطيع أن أفكر إلا فيه .

فلم تفه بكلمة فترة من الزمن ، ثم قالت أخيراً وكأنها شعرت بأنها فى حاجة إلى الكلام — ألن نذهب غداً إلى باريس ؟

— لست أدرى .

فقطبت قائلة — هل تعتبر ذهابك إلى نزهة دون أن نتحدث نوعاً من التسلية ؟ حتى الأغبياء يتحدثون !

فلم يجبها . ثم أدركت ببديهة المرأة المتمردة أنها أثارته ، فطفقت تغنى أغنية شائعة . فتمتم قائلاً — أصمتى أرجوك .

فردت فى حنق — ولماذا أصمت ؟

فأجاب — إنك تفسدين علينا لذة التمتع بجمال الليلة .

ثم حدث ما لا يستطاع تجنبه فى مثل هذه الظروف ، ذلك المنظر الكريه . ابتداء بتوبيخات أعقبتها إتهامات ثم بكاء . وأخيراً عادا إلى الدار وتركها تصيح دون أن يقاطعها .

وظل ثلاثة أشهر يناضل فى يأس فى سبيل الفكاك من الأغلال التى كانت تقيده بها . وكانت قد استغلت عاطفتها المسيطرة عليه لتجعل من حياته بؤساً وجحيما ... ولذلك كانا يتشاجران ليل نهار .. وأخيراً قرر أن يضع حداً لكل ذلك ويهرب .. فباع لوحاته واقترض مالاً وتركه وخطاب وداع على حافة المدفأة ، ثم التجأ إلى منزلى .

وقبيل الساعة السادسة بعد الظهر قرع الجرس فذهبت وفتحت الباب .. فبدا لى وجه امرأة نحتنى جانبا ثم اقتحمت طريقها إلى مرسمى . كانت جوزفين . وهب الرسام واقفاً عند ما دلفت إلى الغرفة وألقت برسالته والنقود تحت قدميه فى اشمئزاز ظاهر ، ثم صاحت فى جفاء — إليك نقودك . لست فى حاجة إليها .

كانت ترتجف وقد شحب لونها وهى فى حالة تدفعها إلى

ارتكاب أي شيء . أما الرسام فكان منفعلا شاحب الوجه غيظاً وكمدا . فسألها — ما الذي تريدينه ؟

فأجابت — إني لا أود أن تعاملني كعاهرة . لقد أردتني فاستجبت لرغبتك . ولم أطلب منك شيئاً . إنك لا تستطيع أن تنبذني .

فضرب الأرض بقدمه وقال — كلا .. إن هذا لكثير . إذا كنت تعتقدين أن . .

فأمسكت بذراعه وقلت له — لا تقل شيئاً ياجان . دع الأمر لي .

وجعلت أتحدث معها في لباقة ، واستعملت كل ما وعاه عقلي من مناقشة خليقة بهذا الموقف ، فأصغت إليّ دون أن تتحرك وهي تحدق أمامها صامتة عنيدة . أخيراً بعد أن قلت كل ما استطعت قوله ، وبعد أن أيقنت أنه لا توجد ذرة من الأمل في السلام ، فكرت في إطلاق آخر سهم من جعبتي فقلت :

— إنه لا يزال يحبك يا عزيزتي . ولكن عائلته ترغب أن تزوجه . أنت تعرفين ما أعني .

فاضطربت وقالت — آه ... لقد بدأت أدرك الآن .

ثم التفتت إليه وقالت — إنك ... إنك ستتزوج ؟ فأجاب في شراسة — نعم .

وتقدمت خطوة نحوه ثم قالت — إذا تزوجت سأقتل نفسي . أتفهم ذلك ؟

فهز كتفيه وقال — حسناً ... أقتلي نفسك .

— أتقول ... أتقول ... أعد ذلك مرة أخرى .

فردد قائلا — حسناً ... أقتلي نفسك إن أردت .

فقالت وقد ازداد شحوب وجهها — لا تعتقد أني لا أعني ما أقوله . سألقي بنفسي من هذه النافذة . فجعل يضحك ، ثم ذهب إلى النافذة ، وفتحها . وأخيراً انحنى لها في احترام قائلاً في أدب ساخر — من هذا الطريق ... بعدك يا سيدتي .

فنظرت إليه هنيهة وقد ظهر وميض من الجنون في عينيها . ثم ... ثم أسرعت كأنها في سبيل اجتيازها سياج حقل ، وانطلقت أمامنا ، ثم تخطت حاجز الشرفة ، واختفت عن أنظارنا .

لن أنسى ما حييت تأثير تلك النافذة المفتوحة ، عندما شاهدت الفتاة تسقط أمامي . وتراجعت بدون وعي إلى الخلف خشية أن أنظر إلى أسفل ، كأني سأسقط أنا الآخر . ووقف جان دون حراك ينظر في ذهول .

وحملت الفتاة مكسورة الساقين ، وأصبحت عاجزة عن السير بعد ذلك . وجن عشيقها تحت تأنيب ضميره . وكأنه شعر بأنه مسئول عما حدث ، فعاد إليها وتزوجها .

... هذه هي القصة بحذافيرها يا صديقي »

كانت الشمس على وشك المغيب ، وشعرت الفتاة ببرودة الجو ، فرغبت في العودة إلى الدار . وابتدأ الخادم يدفع المقعد صوب البلدة . وسار الرسام بجانب زوجه بعد أن مكثا ساعتين دون أن يفوه أحدهم بكلمة .

(الإسكندرية) **محمد فتحي عبد الوهاب**